

## • ديوان ابن أبي الضياف •

جمعه : الأستاذ : رياض المرزوقي

I الشعر :

الرقم	الروي	الطالع	البحر	عدد أبيات	الغرض
1	الناء	(صفافس) قد تبدت وللامير استعدت	المجثث	2	المدح
2	»	هات الشمولا مع الغنائات	مرشح (زجلي)	10 (أبيات توشحية)	الخمريات
3	الذال	يا قريبا في فؤادي يا بعيداً عن ودادي	موشح (مجزوء الرمل)	5 (أبيات توشحية)	الغزل
4	الراء	تألق غربيا فذكرني الخضرأ وأنتكي لتأرق الشوق في كبدي جمرا	الطويل	14	الحنين
5	»	أعد له منشآت الجبال يريد بها الحسن في منظره		4	المدح
6	السين	تونس الانس لها شوقي نما نزفة النفس وروح النفس	موشح (الرمل)	6 (أبيات توشحية)	الحنين
7	القاء	سبقت الى المعارف كل عارف فأنت بأفقهها شمس المعارف	الوافر	11	المدح

• لقد خصنا الأستاذ رياض المرزوقي - مشكوراً - بهذا العمل الجديد الهام ، الذي سيمكن القراء من التعرف على جانب جديد ومهم في شخصية احمد بن أبي الضياف، فل مجهولاً حتى اليوم، ونعني به الجانب الأدبي الشعري .

8	اللام	قمت وتغدى بالنفوس مع الأهل كما جاء در الغيث في الزمن المجل	الطويل	20	المدح
9	الميم	عيش ابن آدم لا يتوم نعيمه سبلان فيه حقيره وعظمه	الكامل	15	الثناء
10	النون	نسيم تونس حباتي ويحييني والطيب منه إذا ما تهت يهيني	البسيط	40	الحنين
11	الهاء	يا حادي الشوق هلا قلت يكفها أسوار تونس قد نافقت أعاليها	البسيط	2	الحنين

### (1) مظان شعر ابن أبي الضياف من المطبوعات :

الاتحاف : الضياف (أحمد ابن أبي) : الباب السادس من اتحاف أهل  
الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان «دولة أحمد باي»، تحقيق أحمد  
عبد السلام ، تونس 1971 .

الحواليات : المرزوقي (رياض) : من شعر ابن أبي الضياف ، في  
حوليات الجامعة التونسية العدد 13 ، 1976 .

الطويل : الطويلي (أحمد) : في الاصلاح والحنين إلى الاوطان ، تونس  
1984 .

العنوان : النيفر (محمد) : عنوان الاديب عما نشأ بالمملكة التونسية  
من عالم أديب ، تونس 1351 هـ .

المجلة : المجلة الزيتونية المجد 5 ، الجزء 8 ، ديسمبر 1944 . .  
المجمل : عبد الوهاب (حسن حسني) : مجمل تاريخ الادب التونسي ،  
تونس 1968 .

مسامرات : السنوسي (محمد بن عثمان) : مسامرات الظريف ، تونس،  
د.ت .

### (2) مظان شعر ابن أبي الضياف من المخطوطات :

أشهر : مجهول : أشهر ملوك الشعر والنثر ، رقم 2515 ، د.ك. و .

العقد : بن سلامة (محمد) : العقد المنضد في أخبار المشير الباشا أحمد ، رقم 18618 عبد الوهاب .

[المجتث]

(صفافس) قد تبسدت وللا مبر استعسدت  
لو زاد عنها مغيبا سارت إليه وجسدت  
التخريج : العقد و106 .

الظروف : لما أشرف أحمد باي من مركبه على (صفافس) خلال حملته على (الاعراض) سنة 1840/1256 (الاتحاف (دولة احمد باي) (74-71) .

[زجل]

هات الشمولا مع الغانيات  
وابق ثميلا بين خذ وهات

...

I هات المداميه واسقني يا صاح  
واسق النداميه كف عني اللوم  
إن العلاميه عند ذي الهوى  
قلولا ثقيلا اقبح السمات

...

II في روض ، أنس جالب الافراح  
منعش النفس زهره بالزهر  
يزري والشمس حوله قد مد  
ظلا ظليلا كاسي النبات

...

III نحو الغدير ورثا أحور  
ظبي غرير كلمنا ناديت  
منه نصيري سل سيف اللحظ  
عني صقيلا يعجز الرماة

...

IV إلىـك عنـي مـزّو الاحـشأ  
هـذا التـمـنـي حـل بـيـن مـن  
أهـوى وبيـنـي فـر فـرارـا  
عـنـي طوـيـلا وعـن القـضـاة

• • •

V عـز الوـصـول وجـيـوش الحـب  
عـنـي تـصـوـل رـق لـي عـذـلـي  
صـار يـقـول : أـلا فـاصـطـبـر  
صـبـرا جـمـيـلا كـل دـان آت

• • •

VI عـيـل اصـطـبـاري ومـبـت لـبـي  
ذات الخـمـار كـلـمـا دـنـا  
مـنـها مـزاري رـدـها عـنـي  
واش عـز ذولا حـاسـر اللـذات

ARCHIVE

VII كـم لـي أـعـانـي ويـد الغـرام  
قـادـت عـنـانـي فـي هـوى مـن  
فـاقـت حـور الجـنـان غـادـة غـزـاء  
بـل ..... تـخـجـل المـهـاة

• • •

VIII تـرنـو بـطـرف يسـحـر الـابـاب  
تـهـزأ بـالخـشـف كـلـمـا اردت  
قـط مـثـيـلا فـي حـسن الصـفات

• • •

IX يـا رـوح رـوحـي يـا شـفا قـلـبي  
المـضـنـي القـريـح مـنـي احـظـي  
بـقـد رـحـيـح ونـرى الرـقـيـب  
عـنـا غـفـولا وكـذا الوـشـاة

• • •

X يشفر ربيشي  
ببدري أنيسي  
فيها خميسي  
من فيه قتيلا

ليالة غرا  
وسطا يجلو  
كساد يحيي  
« بابا سالم مات »

التخريج : الطويل ، ص ص 53-51 .

[مجزوء الرمل] :

I يَا قَرِيبَا فِي فَوَادِي يَا بَعِيدَا عَنْ وَدَادِي  
قُلْتُ يَا غَايَةَ مُرَادِي وَأَصِلْنِي يَا مَلِيحَ وَارْحَمْنِي تَرَحَّمْ

II قَامَ يَسْقِي الرِّاحَ بَدْرِي وَيَغْضُنُ الْبَنَانَ يَزْرِي  
قُلْتُ يَا رُوحِي وَغَمْرِي وَأَصِلْنِي يَا مَلِيحَ ... إلخ

III يَا مَلِيحَا فِي عَلَاةٍ يَحْمَدُ الْبَذْرَ سَنَاهُ  
لَيْسَ فِي السَّقْلِ مِوَاهُ وَأَصِلْنِي يَا مَلِيحَ ... إلخ

IV إِنْ بَدْرِي قَدْ تَجَلَّى لِي سَلَبُ الْعَمَلِ وَوَلَّى  
هَكَذَا الصَّبُّ يَخْلَى وَأَصِلْنِي يَا مَلِيحَ ... إلخ

V قَدْهُ لَمَّا تَنَزَّلَ لِي سَلَبُ الْأَرْوَاحِ مَنَّا  
رُبَّ لَحْظٍ فَوْقَ وَجْنِهِ وَأَصِلْنِي يَا مَلِيحَ ... إلخ

التخريج : الحوليات : 215.214 .

التحقيق : تصرفنا في توزيع الاشطار قصد التنظيم والتوضيح لانها وردت متداخلة في الكنش ، كما صوبنا بعض أخطاء الرسم .

الظروف : مساجلة مع شيخ الاسلام محمد بيرم الرابع المتوفى 1861/1278 .

[الطويل] :

1 تَأَلَّقَ غَرِيبًا فَذَكَّرَنِي الْخَضْرَا  
وَأَذَكَّنِي لِثَارِ الشَّقَوِّ فِي كَبْدِي جَمْرَا

2 إِذَا مَا سَلَ قَلْبِي بِرُوضِ عُلُومِكُمْ  
أَتَتْهُ جُنُودُ الْعَهْدِ تَطْلُبُهُ قَسْرَا

- 3 تَثِيرُ قَتَامِ النَّقْعِ فِي رُحْبِ صَدْرِهِ  
فَتَمْلِكُ مِنْهُ الْقَلْبَ وَالسَّرَّ وَالْجَهْرَا
- 4 وَيَزْنِخُ لِلْغَارَاتِ مِنْ عَدُوِّ خَيْلِهَا  
فَيُورِي لَهَا جَنْبَا لِيَتَاخَذَهُ قَهْرَا
- 5 حَنِيفًا إِلَى انْشِي وَمَعْهَدِ رَفَقَتِي  
وَمِنْشَا شَبَابِي لَا عِمْتُ بِهِ فَخْرَا
- 6 بِلَادِي الَّتِي رُبْتُ وَحَنْتُ وَفَدَيْتُ  
فَنَائِسُهَا مَا إِنْ يَجُوعُ وَلَا يَغْرَى
- 7 سَقَى خَلْقَ وَاذِيهَا وَكُلَّ حُصُونِهَا  
مِنْ السُّحْبِ غَيْثَ يُمْطِرُ وَالنَّصْرَا
- 8 بِنَفْسِي أَفْدِيَهَا وَأَخْذَ جِيْهَا  
وَأَقْطَعُ فِي مَرْضَاتِهِ الْبَرَّ وَالْبَحْرَا
- 9 خَمَاهَا وَالْقَى نَفْسَهُ دُونَ نَيْلِهَا  
وَقَدْ جَالَتْ الْإِيْدِي بِضَرْبَتِهَا الْآخَرَى
- 10 وَصَغَبَ مَقَاهِلَهَا وَسَهْلَ عَيْشِهَا  
وَوَزَّنَ مَرَاهَا فَلَأَلَّهَ مَا أَدْرَى
- 11 فَأَضْحَتْ وَعَيْنَاهَا مِنَ السَّعْيِ مَا تَرَى  
سِوَاهُ وَقَدْ ضَمَّنَتْهُ فِي جِيدِهَا صَدْرَا
- 12 فَلَا زَالَ مَنْصُورَ اللَّوَاءِ مُؤَيَّدَا  
وَفَخْرَ بَنِي عُثْمَانَ يُلَبِّمُهُ سُرْرَا
- 13 هُمَامُهُمْ عَبْدُ الْمَجِيدِ إِمَامُهُ  
وَقُدْرَتُهُ فِي كُلِّ مُعْضَلَةٍ كِبْرَى
- 14 يَدُومُ لَهُ التَّأْيِيدُ وَالنَّصْرُ وَالْهَنْأَا  
لِيُبْقِيَ لِدِينِ اللَّهِ مِنْ عَزِّهِ ذِكْرَا

التخريج : الاتحاف : 98.96 .

الظروف : باقتراح من عارف باي ، أثناء إقامة الشاعر باسطانبول .

الهواميات : في نسخ أخرى من الاتحاف .

البيت 1 : وزاد (النار) .

البيت 7 : غيثا .

البيت 14 : في (عزّه) .

[المتقارب] :

- 1 أَعَدُّ لَهُ مُنْشَاتَ الْجِبَالِ
  - 2 عَلَيْهَا الصَّوَاعِقُ مَنْصُوبَةٌ
  - 3 يَزِيدُ بِهَا الْعِزَّ فِي مَلِكِهِ
  - 4 لِيَقْتَادَ قَمَرًا نَوَاصِي الْمُنَى
- يُرِيدُ بِهَا الْحُسْنَ فِي مَنْظَرِهِ  
تُحَاكِي الْخَطِيبَ عَلَى مَذْبَرِهِ  
وَيُسْطَوُ عَلَى الْبَغْيِ فِي مَظْهَرِهِ  
فَتَأْتِي كَمَا شَاءَ فِي مَضْمَرِهِ

التخريج : الحوليات 216 .

الظروف : زيادة على أبيات لمحمد الاصرم المتوفى 1861/1270 ، قالها في حملة الاعراض .

[الرمل] :

تُونِسُ الْاِنْسُ لَهَا شَوْقِي نَمَا      نَزَّهَةُ النَّفْسِ وَرَوْحُ النَّفْسِ  
أَهْلُهَا أَضْحَوْا نُجُومًا فِي سَمَا      سَطَعَتْ مِنْهُمْ يَعْقِدُ أَنْفُسِ  
بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ قَدْ جَمَعَتْ      مِنْ وَجْهِهِ الْخَسَنَ مَا يَسْنِي الْأَرِيبَ

1 زَانِتِ الْأَرْضُ بِهَذَا وَارْتَفَعَتْ

وَلِيَكُنَّاهَا عَدَا يَعْشَوِ الْغَرِيبُ  
فَضَحَّتْ شَمْسُ الضُّحَى إِذْ لَمَعَتْ  
مِنْ بَعِيدٍ حِينَ تَبْدُو أَوْ قَرِيبُ  
كَمْ لَهَا مِنْ أَحْوَرِ قَلْبِي رَمَى  
يَقْتُورُ مِنْ نِيَالٍ مِنْ قِيبِ  
نَالَتِ الْمَرْمَى وَلَمْ يَنْفَعْ جَمَى  
لَا جَمَى مِنْ فَاثِكٍ فِي الْاَنْفُسِ

II يَا رَعَى اللهُ لِيَالِيْنَا بِهَذَا  
وَيُذَوِّرُ الْكَأْسَ يَبْدِيهَا النَّذِيمُ  
تَتَهَادَى فِي حُلَى أَثْوَابِهَا  
زَانِتِ الْأَلْوَانُ مِنْ ذَاكَ الْاَدِيمِ  
جَاءَتِ اللَّذَاتُ مِنْ أَبْوَابِهَا  
هَكَذَا الشَّأْنُ مِنَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ

- فَاغْتَنَمَهَا وَارْتَشَفَهَا كُلَّمَا  
لَوْنَتْ بِالْوَرْدِ خَذُ الْاَكْمُوْسِ  
وَاتَّخَذَهَا بِسُرُورٍ سَلَمًا  
إِنَّمَا الرِّاحُ حَيَاةُ الْمَجْلِسِ  
بَيْنَ خِلَافٍ بِهِمْ صَفَوُ الزَّمَنِ III  
لَنْ تَرَى مِنْ جَمْعِهِمْ إِلَّا الْأَمِنَ  
وَأَحَابِثَ عَلَى صَفْوِ الْعَقَارِ  
تَجِدُ الرُّوحَ لَهُمْ أَذْنَى ثَمَنِ  
فَانْزِبِ الصَّرْفَ عَلَى ثَقْلِ الْوَقَارِ  
وَأَمْرِجْنَهَا بِرَجِيْقٍ مِنْ لَمَى  
خَوْلٍ وَرَدٍ فِي عِذَارِ الْفُغْلِسِ  
لَا تَزُوجْ بِكَرْهٍ أَبْنِ السَّعَا  
رُؤُوسُ الْخُسْنِ لَهَا بِالْعُغْسِ  
وَأَجْذِبِ الْعُيُودَ فِيمَنْ تُغْمِتُهُ IV  
يَفْرُغُ لَهُمْ إِلَى أَقْصَى مَفَرٍ  
وَأَسْمِعِ الْاَلْحَانَ فِي دُمُوعِهِ  
بِجِوَارٍ فِي أَمَانٍ وَظَفَرٍ  
وَأَنْظُرِ الْاَوْتَازَ فِي لَمْتِهِ  
شَرَكِ الْاِنْسِ إِذَا الْاِنْسُ نَفَسَ  
وَاعْنَمِ الْأَذَاتِ فَالْصَفْوُ ثَمًا  
بِمُشِيرٍ نَبْئُهُ فِي تُونِسِ  
أَحْمَدُ الْبَاشَا الْكَرِيمُ الْمُتَنَمَّى  
خَامِي الْقَطْرِ لِنَصْرِ قُدْسِي  
مَلِكٍ وَأَبْنِ مُلُوكٍ ذِكْرُهُمْ V  
مَلَا الْغَرْبَ وَزَادَ الْمَشْرِقُ  
أَسْمَا الْمَجْدِ وَهَذَا فَجْرُهُمْ  
مِثْلَ بَذْرِ فِي تُجُومِ أَشْرِقَا  
مِنْهُمْ الْفَخْرُ وَمِنْهُمْ بَذْرُهُمْ  
فَطَرَهُمْ مِنْ نَجْلِهِمْ قَدْ بَرَقَا



نشر الفضل وجُنْدًا نَظَمَا  
 مَثَلُ ذَارٍ فِي هَتِيمٍ أَسِيسَ (٢)  
 اتَّقِنِ التَّرْتِيبَ فِيمَا أَحْكَمَا  
 يَجْلِبُ الْأَمْنُ بَعِيْنَ النَّعْسِ  
 فَاَسْكُنِ الْخَضْرَا وَخَامِرَ خَيْرَهَا VI  
 وَالْبَيْسُ الْأَمْنُ بِهَا وَالْعَافِيَةُ  
 وَاشْكُرِ النِّعْمَةَ وَاعْرِفْ يُسْرَهَا  
 فَهِيَ لِلْجَامِدِ حَقًّا نَافِيَةُ  
 وَإِذَا لَامَسْتَ أَرْضًا غَيْرَهَا  
 قُلْتَ فِي شَوْقٍ لِنَظْمِ الضَّافِيَةِ  
 تَوَسَّلْ إِلَى الْإِنْسِ لَهَا شَوْقِي نَمَا  
 نَزْهَةُ النَّفْسِ وَرَوْحُ النَّفْسِ  
 أَفْهَلُهَا أَضْحَوْا نُجُومًا فِي سَمَاءِهَا  
 سَطَعَتْ مِنْهُمْ بَعْقِدُ أَنْفَسِ

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

التخريج : المجلة

[الوافر] :

- 1 سبقت إلى المعارف كل عارف
  - 2 وعطر غربنا عنكم ثناء
  - 3 تضوع طيبه فهدي قلوبا
  - 4 وحصل كل ذي أمل منهاه
  - 5 وقد زاد العيان على سماع
  - 6 حويت من الكمال غريب كسب
  - 7 وحليت الزمان بدر فكر
  - 8 تفجر عن علومك كل عذب
  - 9 أأحمد أنت وحدك للمعالي
  - 10 فمن لي واحدا يحكيك فضلا
  - 11 ودمت كما تريد قرير عين
- فانت بافقهها شمس المعارف  
 يدين به المسلم والمشارف (كذا)  
 لبابك كي تنال من العوارف  
 فنحن الآن منك بظل وارف  
 فلم يحد اللسان ولم يقارف  
 يزيك ما تزيد من المصارف  
 فاعجزت المجاري غير صارف  
 مباح للعطاش وللغوارف  
 تحدث بالنعيم فانت عارف  
 ولو بذل التلاد وكل طارف  
 وصيتك في الوهاد وفي المشارف

- 1 قَدِمْتُ وَتَقَدَّى بِالنَّفْسِ مَعَ الْإَهْلِ  
كَمَا جَاءَ دُرُّ الْغَيْثِ فِي الزَّمَنِ الْمَحِلِّ
- 2 وَالْأَكْمَا جَاءَ الْمُرَادُ لِبَطَالِبِ  
وَالْأَكْمَيْفِ الْجَدُّ فِي مَنْهَجِ الْهَزْلِ
- 3 وَالْأَكْمَا بَالَتْ وَجُودُهُ بِشَائِرِ  
تُخْلَصُ ، غَرَقَى فِي بَحَارٍ مِنَ الْوَصْلِ
- 4 وَالْأَكْمَيْفِ الْوَصْلُ أَشْرَقَ نُورُهُ  
فَأَذْهَبَ لَيْلًا قَدْ تَبَدَّى مِنَ الْعَزْلِ
- 5 بَعْدُنَا عَلَى التَّشْبِيهِ جَهْلًا وَإِنَّمَا  
لِرُؤْيَا إِبْرَاهِيمَ فَضْلٌ عَنِ الْكُلِّ
- 6 فَكَيْفَ وَدُرُّ الْعِلْمِ قَدْ جَاءَ بِخَيْرِهِ  
وَقُلْ لِمَجِيءِ الْبَخْرِ تَبْصِيرٌ مِنْ مِثْلِ
- 7 فِي خَائِبِ الْإِيمَانِ بَعِيدًا وَإِنَّهُ  
فَكَيْفَ أَرَى الْإِيمَانَ فِي غَايَةِ الْبُخْلِ
- 8 وَسَارَ لِيَيْتَ اللَّهِ وَالْعَزُّ مُتَّبِعٌ  
وَشَدَّدَ بِالتَّقْوَى شَدِيدَ دُرَى النُّزْلِ
- 9 فَحَصَلَ مِنْ تِلْكَ الْبِقَاعِ مَغَانِمًا  
مَغَانِيحُ فَتَحَ لَا تَرَامُ وَلَا تُمْلِي
- 10 وَجَادَ عَلَى الْأَقْطَارِ مِنْ وَبِلٍ عَلَيْهِ  
فَأَيْتَغُ غُصْنُ الْعِلْمِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبْلِ
- 11 وَقَدْ شَرَفَ الْأَمْصَارَ أَخْمَصَ رِجْلِهِ  
وَلِلَّهِ مِنْ عِزِّ حَوْنِهِ مِنَ الرَّجْلِ
- 12 وَخَلَّفَ مِنْ زَهْرِ الثَّنَاءِ مَنَاسِمًا  
يَفُوحُ شَذَاهَا فِي رِيَاضِ مِنَ الْقَوْلِ
- 13 وَآبَ كَمَا آبَ الزَّمَانُ لِأَهْلِهِ  
وَقَدْ زَادَ بِالْإِضْعَافِ فَضْلًا عَلَى فَضْلِ

- 14 فَكَانَ لَنَا عِيدَانِ : عِيدُ قُدُومِهِ  
وَعِيدُ لُخْتِمِ الصَّوْمِ ، فَاعْجَبْ لَذَا الشَّمْلِ
- 15 فَهَذَا إِمَامُ الدِّينِ أَقْبَلُ غَانِمًا  
لِيَهْتَمُّ بِالْأَفْرَاجِ مَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ
- 16 وَلَوْ نَظَرْتَ عَيْنَاكَ يَوْمَ قُدُومِهِ  
رَأَيْتَ تُغَوِّرُ الْأَرْضَ تَبَسُّمُ بِالْفِعْلِ
- 17 أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي خَسَنَاتُهُ  
تَزِيدُ عَلَى الْأَمْوَاجِ وَالْقَطَرِ وَالرَّمْلِ
- 18 هَنِيئًا لِحُنْدِ الْعِلْمِ أَقْبَلُ نَصْرُهُ  
وَبَيِّتُ جُنُودِ الْجَهْلِ بِالطَّعْنِ وَالْقَتْلِ
- 19 بَقِيَتْ عَلَى رَغَمِ الْحَسُودِ مُعْظَمًا  
وَطِيبُ شَذَا عَلَيْكَ أَهْلِي مِنَ الْوَصْلِ
- 20 وَلَاقَاكَ كُلُّ الْيَمَنِ وَالْخَيْرِ جِيئًا  
فَقِيَمْتَ وَتَقَدَّى بِالنَّفْسِ مَعَ الْأَهْلِ

التخريج : مسامرات : 197-198 .  
الظروف : في تهنئة ابراهيم الراحي المتوفى 1266/1850 برجوعه من الحج .

[الكامل] :

- 1 عَيْشُ ابْنِ آدَمَ لَا يَدُومُ نَعِيمُهُ  
مَيَّانَ فِيهِ حَقِيرَةٌ وَعَظِيمُهُ
- 2 بَيْنَ الْمُؤْمَلِ فِي مَسَرَّةِ عَيْشِهِ  
حَتَّى يَهْبُ مِنْ الْمَمَاتِ نَسِيمُهُ
- 3 يَا غَافِلًا وَإِلَى التُّرَابِ مَصِيرُهُ  
وَالْمَوْتُ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ تَرُومُهُ
- 4 انْظُرْ فَرِيدَةً دَهْرِنَا تَحْتَ الثَّرَى  
وَأَزْهَدَ فَنَزَلَ الْعَيْشُ لَسْتُ تَقِيمُهُ
- 5 هَذَا لِقَاطِمَةِ الْمَالِ وَفَضْلُهَا  
فِي كُلِّ جَبَدٍ لَا يَضِيغُ نَظِيمُهُ

- 6 بِنْتُ الدِّيَانَةِ مَلِكُ مَجْدِهِ (قَائِمٌ)  
 7 لَا تَضْمَلْ عَلَى الدَّوَامِ رُسُومَهُ  
 8 وَلَا صَلَاحَهَا عَثَمَانُ ضَمَّتْ فِعْلَهَا  
 9 وَلَهَا الْكَمَالُ جَدِيدُهُ وَقَدِيمُهُ  
 10 رُوحُ الْأَمِيرِ الْبَاشَا حُسَيْنِ الرِّضِيِّ (؟)  
 11 بَحْرًا إِذَا أَوَّلَى الْجَمِيلُ يُدِيمُهُ  
 12 أُمُّ الْمُلُوكِ وَلَنْ تَرَى أَمْثَالَهُمْ  
 13 مِنْ كُلِّ حَزْمٍ وَالْكَمَالُ نَدِيمُخُ (؟)  
 14 هَذِي الَّتِي أَضْحَتْ عَيْنُونَ خِصَالَهَا  
 15 تَبْدُو كَبَدْرٍ زَيْنَتْهُ نُجُومُهُ  
 16 هَذِي الَّتِي رَأَى الْيَتِيمُ بُرُوزَهَا  
 17 وَبِمَوْتِهَا كُلُّ الْإِنْسَامِ فَطِيمُهُ  
 18 هَذِي الَّتِي مِنْ سَبِيلِ غَيْثٍ غَمَامُهَا  
 19 جَادَ اللَّثِيمُ وَزَالَ عَنْهُ لَثِيمُهُ  
 20 يَفْقَى الزَّمَانُ وَذَكَرُهَا مُسْتَنْزِلُ  
 21 وَالذَّهْرُ حَقًّا لَا يَمُوتُ كَرِيمُهُ  
 22 فَاعْفِرْ لَهَا رَبِّي وَأَكْرِمْ نَزْلَهَا  
 23 وَالْعَبْدُ لَا يَخْشَى وَأَنْتَ رَجِيمُهُ  
 24 وَبِفَضْلِكَ الْمَشْهُودُ قَالَ مُورَخُ :  
 25 نَزَلْتُ فَبَيَّخَا لَا يَقُلْ نَعِيمُهُ

1827/1242

التخريج : الحوليات 224.223 .

الظروف : رثاء زوجة حسين باي .

[البيسيط] :

- |   |                              |                                  |
|---|------------------------------|----------------------------------|
| 1 | نسيم تونس حيانِي وحِينِي     | والطبيب منه إذا ما تهت يهْدِينِي |
| 2 | لا غرو إن ساء قلبي في محبتها | فاصل نشأتَه من ذلك الطوبَن       |
| 3 | إذ وجهتني لأرض لا تلائمني    | وحبذا أمرها يزكو ويرضِينِي       |
| 4 | قاسي فؤادي أهو الا يذوب بها  | أعوذ بالله من همز الشياطين       |
| 5 | بالله يا نسمة إن جنت تونس قف | وانشر سلاما لها من قلب محزون     |

6	واستمتع النور من طود المنارة إذ	يبدو لمنظرك الباقي على حين
7	ترى مرابي حلق الوادي زينها	شوامخ السفن كالطير الميامين
8	فانظر مدافعه واعرف عساكره	في البر والبحر حازوا خير تمكن
9	ونزه العين في تلك البقاع وطف	على الحصون وماوى عسكر الدين
10	واسرع إلى قشلة القنديل ان بها	سمط المدافع في زي الثعابين
11	طواير الاسد في آجامها ربضوا	ان فاه امهم لبوه في الحين
12	زادوا لاقدامهم ترتيب حربهم	وانقنوا نظمها من غير تخمين
13	ان الحنايا كنوع من وقوفهم	لا مثل نخل بمحني العراحين
14	قادوا الصواعق في سهل وفتي جبل	طاروا بأنقالها مثل الشواحين
15	واستنطقوها إذا حنوا لنغمتها	أصواتها عندهم رجع التلاحين
16	وسرح الطرف في قصر الامارة من	أرجائها إذ بدا في كل تلوين
17	مرصع بنظام فاق نظمهم	سلك الجواهر في تلك الاساطين
18	غيل الملوك وماوى كل ذي شرف	بقاعه شرفت أهل الدواوين
19	ديوان كتابها ديوان حسابها	ديوان قوادها أهل القوائين
20	وغيرهم من جموع طاب نشرهم	طبيب الرياض بأنواع الرياحين
21	قاموا بخدمة مولاهم وطاعته	فلن ترى خطوة في غير مأذن
22	مدار عصبتهم مأمور سيدهم	فيما يصرف من صعب ومن لين
23	واعطف إلى قشلة الفرسان تبصرها	تلفعت وتوردت بالساتين
24	عقبانها من ظهور الخيل قد نبتوا	مثل الجذور تلتقت من أفانين
25	تطير للناس في الهيجا جيادهم	فأعجب من الجرد تجري بالموازين
26	واستخضر العيش بالخضرا وساكنها	واسعد باتيانها من باب معدون
27	أصل العلوم وماوى الصالحين بها	ومركز الدين من فرض ومسنون
28	أنس الغريب بها ينسى موطنه	وموضع اليسر من عيش المساكين
29	ومتع النفس من مرأى محاسنها	وانظر مآثر من شم العرائين
30	واعبر إلى القشلة الكبرى وعسكرها	وانظم من الدر في نسق الاساطين
31	غاضوا محاربهم عزوا محاربهم	زاتوا بصولتهم تلك الميادين
32	وادخل مساجدها واذكر محامدها	وصف معانيها وصف المجانين
33	والجامع الأعظم اجمع من فرائده	منا يقتنى لنحور الخرد العين
34	قد زانه أجمد ذلك المشير ومن	به الابالة في عز وتمكين
35	كتائب الكتب أهداها وقد عجزت	عنها الملوك ولا هموا بتخمين
36	قوى بتسويرها تأييد عسكرها	إذ مرجع الكل في التحقيق للدين
37	يا حسنها وهي بحر في خزانها	يغنيك جودها عن جود الصين
38	وكم له من فعال لا عداد لها	تبقى مع الدهر شجوا للملاعين
39	لا زال يلبس والتأييد يصحبه	ملايس العز مع تاج السلاطين
40	ما قال صب من الاشواق في قلق	نسيم تونس حياتي ويحييني

التخريج : العقد 31 .  
أشهر ص ص 130.126 .  
العنوان ص ص 133.131 .  
المجمل ص ص 279.278 ( بيتا 17 ) 5.2.1 إلى 23.14.11 إلى  
30.28.26 .

الروايات : البيت 1 : العقد : أحياني .  
أشهر والمجمل : ما هب .  
البيت 3 : أشهر والمجمل : يذكي .  
البيت 4 : : هوى من لا يدب بها .  
البيت 6 : : واستفتح .  
البيت 7 : : زينتها .  
البيت 13 : : لمجنى .  
البيت 14 : : المجمل : نادوا وأشهر : قاد .  
البيت 15 : : أشهر : عند ترجيع .  
البيت 18 : : العنوان : شرحت .  
البيت 20 : : العنوان والمجمل : بأنوار .  
البيت 24 : : العنوان : ثبتوا - تلفت .  
المجمل : عقبانهم في بطون .  
العقد وأشهر : الجدور .  
البيت 25 : : العنوان : للناس ، العنوان والمجمل : البحر .  
البيت 26 : : العقد وأشهر واكمل : واستحضر  
المجمل : العين .  
البيت 32 : : معادنها .  
البيت 33 :  
العنوان : ما يقضي .  
البيت 36 : : العنوان : نوى بتسييرها للتحقيق في الدين .

[البسيط] :

يا حادي الشوق هلاً قلت يكفيها  
أسوار (تونس) قد تأقت أعاليها  
دار الجهاد أعز الله تربتها  
وجادها .....

التخريج : العقد و32 ظ .

الظروف : تشوق إلى (تونس) ، وذكر (أحمد باي) ، «وذلك حال حلوله  
بحضرة اسطنبول» .

الملاحظات : نقص في المخطوط .

II. الزجل العامي : مظان زجل ابن أبي الضياف من المطبوعات  
الاغاني : الرزقي (الصادق) الاغاني التونسية . تونس 1967 .

يا مولا العرين سوقة قتالها  
[المضحك والنيبان والخذ قبالة  
سودة زنجية المضحك والنيبان والثفة طرية  
خلاوني مضام مريض في حالة  
خدود العكري وقفت لي في الباب على الصبحة بكري  
ونصبوا لي الاشرار إن شا الله بطالة  
التخريج : الاغاني ص ص 267-268 .

الملاحظات : انظر في نسبة هذا الزجل إلى ابن أبي الضياف مجلة  
الاذاعة (عدد خاص بالفنون الشعبية - ديسمبر 1963 ص 23) .

## دور المجلات الادبية في إثراء الحياة الثقافية

بقلم : الاستاذ نور الدين بن بلقاسم

- يمكن أن نتناول هذا الموضوع من خلال العناصر التالية :
- أ - المجلات الادبية مسبر لكشف الرجال .
  - ب - المبادئ العامة التي تسعى المجلات الراقية إلى تحقيقها.
  - ج - ثقافة المجلات وثقافة الكتب.
  - د - تأثير انعدام الثقافة أو ضحالتها على مسيرة الحضارة .
- وسنبداً بتحليل العنصر الأول وهو :
- المجلات الادبية مسبر لكشف الرجال :**

إن المجلات الادبية بالإضافة إلى دورها الثقافي فهي - إذا كانت متجهة اتجاهاً مخلصاً للامة بعيدة عن المذهبية والانحياز لغير الحق - فإنها تكون مسبراً لكشف معادن الرجال.

<http://Archivebeta.Sakajournal.com>

ذلك أن الرجال الافذاذ من ذوي الفكر والادب والعلم مثل المعادن النفيسة تكون مغمورة في طيات الارض، وبالبحث عنها تستخرج وتصفى شوائبها فيزداد ثمنها، ويرتفع قدرها. وكذلك الرجال الافذاذ من أهل الفكر يكونون بين عامة الشعب وطوائفه مغمورين مثل المعادن النفيسة بين طيات الارض، فإذا وجدوا عزائم مخلصه ونفوساً أبية تعمل لله والانسان أخذت بأيديهم هذه العزائم وارشدتهم وشجعتهم على المسير في عالم الفكر، فإذا بهم بعد اشتداد عودهم وتدريبهم على الانجاد والاسهام في دنيا الفكر ينقلبون الى خلق جديد، هم أقرب ما يكون الى النخبة المختارة التي ترسم مصير الانسان ومسيرته، وتوجد له - من فكرها الحي - ثوابت ومتحولات تحفز الانسان باستمرار الى ما هو أحسن. ويمكن أن نضرب مثلاً على هذه المجلات التي يجب أن نعترف بأنها أخذت بيد كثير من المفكرين -

فقد عرفت مجلة «الفكر» بكثير من الاسماء التونسية المبدعة وفي مقدمتها : مصطفى الفارسي، والبشير خريف، والعروسي المطوي، والشاذلي



القليبي، ومحمد فرج الشاذلي، وأبو القاسم محمد كرو، وأحمد اللغماني، وأحمد المختار الوزير، والبشير المجذوب، وجعفر ماجد، ونور الدين صمود، ونور الدين بن بلقاسم، ورياض المرزوقي، والطاهر اللبيب، وعز الدين المدني، ومنور صمادح، ومحمد باردي، ومحمد صالح الجابري، ومحسن بن حميدة، وسعير العيادي، وأبو زيان السعدي، ومحمد الحبيب السالمي، وغيرهم كثيرين (1).

ب . المبادئ العامة التي تسعى المجلات الراقية إلى تحقيقها :

ان استعراض هذه الاسماء وغيرها من الاسماء الالامعة الاخرى التي لا يتسع المجال لذكرها يمكن أن يوقع القارئ غير المتبصر بالارتباك، لما بينها من تضارب في الاتجاه الفكري، وتفاوت في السن والمقدرة، وتباين في الاختصاص والمثرب الادبي، ولكن شيئا من التمعن فيما يكمن وراء هذا التنوع كفيلا بأن يعطي القارئ تصورا (2) للدور الثقافي السليم الذي رغبت مجلة الفكر في أن تلعبه، ويتمثل في النقاط التالية :

أولاً : رعاية الادب العربي في تونس والمغرب العربي، وأدب ثورات التحرر العربية .

ثانياً : خلق حركة نقد أدبي فاعلة، والاتجاه إلى بلورة معايير ذوقية ونقدية متماسكة وإيجابية وذات قوة دافعة.

ثالثاً : رعاية المواهب الجديدة، وعدم اضاعة أية فرصة أمام كل محاولة واعدة.

رابعاً : تطبيق مبدأ الثورة الدائمة من الداخل، وذلك بالتجدد المستمر مثلما تقتضي ذلك سنة الطبيعة، وبكلمة أوضح فتح المجال واسعا أمام رياح التغيير وتقبل التنوع في الافكار والاساليب والتقنيات ضمن اطار مبدأ الوفاء للاتصاله وللتراث وللوطن وللرواد.

خامساً : تشجيع الحوار الايجابي بين مختلف الافكار والتيارات، ومقارعة

---

(1) الدكتور حسام الخطيب . كلمته في الاحتفال بمرور خمس وعشرين سنة على تأسيس مجلة الفكر ، ص 39 السنة 26 العدد 2، نوفمبر 1980 م .  
(2) المصدر نفسه : 39 .

الحجة بالحجة والرأي بالرأي بعيدا عن الاتهام والاسفاف.

ونلاحظ :

أن هذا المبدأ الخامس هام جدا - خاصة في أيامنا هذه التي نسي فيها الانسان في الوطن العربي أو كاد أن الحجة يجب أن تقرر بالحجة عوض أن تكون العصا أفضل وسيلة للاقناع .

سادسا : اقامة الجسر الفكري المنشود بين جناحي الوطن العربي : المغرب والمشرق، والحرص على أن يكون رفيف الجناحين متساوفا متكافئا لا يطغى فيه جناح على جناح ، وتتناسق فيه الخوافي والقوادم لتقود النسر العربي إلى قمم العطاء الانساني (3) .

وهذه المبادئ العامة التي تتبناها مجلة الفكر تنسحب على أغلب المجالات العربية المعروفة مثل مجلة (الأداب) ومجلة (الدوحة) ومجلة (الأقلام) فهذه المجالات وغيرها تسعى إلى الربط بين جناحي الامة العربية وخلق حوار فكري على صفحاتها بين متقفيها، وذلك سعيا منها إلى توسيع آفاق الفكر، الذي به يكون الانسان عندنا ماسكا بزمام عصره، معتمدا على نفسه في تطوير ذاته ودفع مجتمعه إلى الأفضل، وذلك يكون بتطوير الفكر، المنطلق من ثقافة أصيلة متفتحة ومتنوعة. ولكي نعرف مدى مساهمة هذه المجالات ودورها في إثراء الحياة الأدبية والثقافية فقد قمت بإحصاء لما نشرته مجلات تونسية ثلاث منذ انشائها إلى يوم الناس هذا، في ميدان القصة، وهذه المجالات هي :

مجلة الفكر ، ومجلة قصص ، ومجلة الحياة الثقافية .

أولا : مجلة الفكر :

نشرت مجلة الفكر من سنة 1955 الى سنة 1985 - أي في مجال ثلاثين سنة - 720 قصة مكتوبة ، و34 قصة مترجمة ، و15 رواية .

ومجلة ما نشرته مجلة الفكر ما بين قصة مكتوبة ومترجمة ورواية 769 قصة (4) .

- (3) حسام الخطيب ، الفكر : 41.40 ، السنة 26 ، العدد 2 ، نوفمبر 1980 م .  
(4) الفكر - الفهرس العام للكتاب والمواضيع 1955-1980 ، السنة 26 ، أكتوبر 1980 ،  
وفهارس الفكر جويلية 1981-82.83.84.85 .

## ثانيا : مجلة قصص :

ونشرت مجلة قصص من سنة 1964 إلى سنة 1984 - أي في مجال زمني يقدر بعشرين سنة - 604 قصة مكتوبة و45 قصة مترجمة.

وجملة ما نشرته مجلة قصص بين مترجم ومكتوب بلغ 649 قصة (5).

## ثالثا : مجلة الحياة الثقافية :

ونشرت مجلة الحياة الثقافية في ميدان القصة من جوان 1975 إلى عددها 34 من سنة 1985 كمية بلغت 123 قصة (6) .

وجملة ما نشرته المجلات الثلاث من سنة 1955 إلى 1985 - على ما بينها من تفاوت زمني من حيث بداية صدورها - بلغت جملة ما نشرته 1496 قصة .

إن هذه الاحصائية أيها السادة في هذا الميدان بالذات ميدان الادب القصصي، يمكن أن نعطينا فكرة ولو تقريبية عن الكم الهائل الذي يمكن أن نعرفه لو أحصينا عدد القصائد الشعرية وعدد المقالات الادبية التحليلية منها والنقدية والفلسفية، ويمكن أن نعرف من وراء ذلك كله مدى ما يمكن أن يحصل عليه قارئ واع من استفادة أدبية وفكرية وثراء علمي حينما يتتبع بانتظام قراءة مثل هذه المجلات.

## ج - ثقافة المجلات وثقافة الكتب :

إن دور الكتاب أو المجلة - أي مجلة أو أي كتاب في الحياة الثقافية والادبية - دوران :

- المعنى الموسوعي .

- والمعنى الاخلاقي .

أ) المعنى الموسوعي : والمقصود منه الاخذ من كل شيء بطرف وأخذ زهرة من كل بستان وما المجلة الشاملة المدارة من قبل ثلة واعية إلا كالبستان

---

(5) مجلة قصص - نادي القصة 20 ، سنة (1964-1984) + فهرس المجلة من عدد

(1) الى عدد (66) 19 .

(6) فهرس مجلة الحياة الثقافية لعشر سنوات (1975-1985) من عدد (1) الى عدد

(88) .

يستطيع القارئ أن يتنزه - بالفكر فيها - فيقطف منها ، يشاء من الزهور المتنوعة ذات الأريج المختلف نكهة ورائحة ، فإذا بهذا القارئ المدمن على المجلات القيمة له في كل موضوع باع ، وفي كل معركة - في منحى من مناحي الفكر - نزاع ، يستطيع به المصاولة والمجاوله .

ولتنوع المواضيع في المجلة يمكن للمتلقى أن يختار منها ما طاب له للقاء، على أن الفكر السليم هو الذي يقبل على قراءة كل شيء من غث وسمين، ومع ذلك يستطيع هضمه ، فالغث يقرأه ليتجنبه ويتفاداه والسمين يقرأه ليتخذه وينسج على منواله، ويتفوق عليه بتجاوز أنماطه وأشكاله.

ومثل الفكر السليم في ذلك مثل المعدة السليمة التي تستطيع أن تهضم أنواع الاطعمة المختلفة على حد تعبير عباس محمود العقاد . على أن ثقافة المجلات هي ثقافة تنوع ، وليست ثقافة عمق وتحليل . لان كتاب المجلات يتناولون المواضيع بطريقة مضغوطة غير مفصلة لضيق مجال صفحات المجلة غالبا ، ولذلك فنور المجلة في عالم الثقافة هو دور الذي يفتح الكوة ولا يفتح الباب ، ودور الذي يرشد ولا يوصل إلى المكان المقصود ، ودور الذي يعالج المشاكل الفكرية بالإشارة العابرة واللمحة الذكية والتنبيه الواضح المختصر.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أما الذي يطنب ويحلل ، ويشرح الموضوع بجزئياته ويربط المقدمات فيه بالنتائج، ويصل الاوائل من الافكار فيه بالواخر، ويناقش ويقنع ويوحش، ويغضب ويفرح ، ويقسو ويرفق، ويكي ويضحك، ويجد ويهزل، ان الذي يفعل كل هذا هو الكتاب .

الكتاب الذي هو عماد أية حضارة راقية ، وأي فكر جبار يتحدى بقوته وعظمته الحدود والسدود والقيود ليصل إلى الانسان الخالد على اختلاف الازمنة والامكنة ، وليأخذ بيده ، ويعبر به صحاري الجهل ، ومتاهات الغفلة والتخلف، ويسمو به فوق الاثرة والعصبية للمذهب أو القبيلة، وليزرع في ذاته حب الآخرين، وليعمق في ذاته - كلما ازداد تعمقا في العلم والثقافة - الشعور بالمسؤولية التي من شأنها أن تجعل منه الانسان الجدير بخلافة الله في الارض.

وسوف يبقى الكتاب هو سيد الفكر والعلم، ووعاء المعرفة الذي يحتاجه

طلابها ويتهافون عليه كلما أرادوا أن يعيشوا - من خلال الكتب - عصور الإنسانية المختلفة في عمر واحد - سوف يبقى الكتاب كذلك مهما تطورت الوسائل السمعية البصرية وتهافت عليها المستهلون للثقافة الاخون لها مأخذ الهزل لا مأخذ الجد القاحل.

على أن دور كل من المجلة والكتاب يصب في المعنى الاصيل الثاني للثقافة - الذي نصصنا عليه فيما سبق - ألا وهو :

ب - المعنى الاخلاقي :

ففي المعنى الاصيل لكلمة ثقافة نجد :

نتقف الرمح أي استقام بعد اعوجاج .

ومن ثمة فالثقافة في أصلها تعني الاستقامة أي الاخلاق .

فالادب والعلم أو الثقافة الموسوعية هما باب الثقافة بمعناها الاخلاقي .

ولذلك فمن لا أخلاق له لا علم له ، ولو حمل على ظهره الدنيا ، ومن لا أخلاق له لا دين له ، ولو حمل الكعبة على رأسه ...

ومثلما أن الدين هو المعاملة فالاخلاق - التي هي حصيللة الثقافة العلمية والادبية - هي كذلك المعاملة والسلوك ...

فالذي يكلف بمؤسسة ولا يحافظ عليها مثلما يحافظ على بيته وأهله فذلك يعني أنه لا أخلاق له ، مهما كانت حصيلته من الثقافة الموسوعية ... ومن يتعالى على الناس لما له أو لجأه ولا يتواضع ويرحم ويعطف ويؤاخي ويصادق الآخرين لخيرهم وخيرهم ومصيرهم ومصيرهم ومستقبل الأمة جمعاء فذلك كذلك لا أخلاق له ...

ولذلك فالمجلات الراقية والكتب الثمينة والفكر الممتاز تكون كذلك بقدر ما تقربنا من الثقافة بمعناها الاخلاقي .

وعلى هذا الاساس فالمجلات الخليعة والافلام المستهترة والكتب الماجنة قد لا تنسب إلى منتخبات الثقافة لأن ما فيها من استهتار ومجون قد يجدد في النفس نشاطها ويخرجها من الجد إلى الهزل لتستعيد قواها وتواجه أعباء الحياة من جديد بجرأة وقوة ، ولكن ذلك لا ينمي فيها الحس الثقافي بمعناه الاخلاقي الذي هو أساس بناء الحضارة وقيام الامم القوية الراقية .

## د - تأثير انعدام الثقافة أو ضحالتها على مسيرة الحضرة :

وهكذا أيها السادة : فالثقافة بمعناها الاخلاقي هي حصيلة الثقافة الموسوعية الناتجة عن قراءات واعية لمجلات متخصصة أو متنوعة راقية ، والكتب مختلفة المشارب والاتجاهات، بحيث تنمي هذه المجلات وهذه الكتب في ذات المتلقي الاحساس بما له وما عليه ، فينمو بذلك فيه الضمير الجماعي الذي يتمشى طردا مع ازدياد وعيه كلما ازدادت قراءاته وتنوعه ، وكلما نما الضمير الجماعي في الفرد كلما حذب أكثر على شؤون الآخرين ، وراعى ظروف الناس ، لان الضمير الجماعي فيه يجعله يتجاوز أخطائهم ، ويلتمس لهم في ذلك الاعذار ، بحسب أوضاعهم وظروفهم وتقلبات حياتهم .

ذلك أن أزمة المجتمع المعاصر بعامة ، والعالم الثالث بصفة خاصة هي أزمة ثقافة بمعناها الاخلاقي... أو قل هي أزمة أخلاق...

فإذا بأشباه المثقفين الذين يشتغلون في مختلف المواقع الاجتماعية يعتقد الواحد منهم بأنه هو الاول والاخر في العلم والثقافة، وإذا بالانا يتضخم فيه على حساب الانت أو النحن فلا يستشير لذلك منظوريه في شؤون مصلحة الجماعة ، وإذا به في ذلك كضفدعة لافونتان ينفخ أوداجه بالريح ، ويملا بطنه بالماء ، فإذا ما أخطأ يكون خطؤه وبالا على الآخرين ، وإذا بخطأ الافراد من أشباه المثقفين ينهك الجهد الجماعي ، ويضعف من إصرار وتحدي الارادة القومية ، وإذا الجماعة المستنفرة التي تخال نفسها تسير قدما في خط مستقيم إلى الامام تدور في دائرة مغلقة، فتعاود السير، فتدور على نفسها من جديد ، فتجد نفسها حيث كانت من قبل ، وتجد أنها لم تحقق من مسيرتها - الا خسارة الزمن (7) .

فغاية الاديان والفلسفات والفكر على امتداد العصور هي تثقيف الانسان أي تقويمه بما يؤتى له من العلم منها .

وذلك حتى يخشى الله في نفسه وفي غيره ، فلا يبيع لنفسه ما لا يبيحه لغيره ، ولا يحب لنفسه ما لا يحبه لغيره ، وبالتالي فإن هذا الانسان الذي أوتي

(7) الدكتور شكري فيصل - الفكر : 53 ، السنة 26 ، العدد 2 ، نوفمبر 1980 .

من العلم ، سيستفتي قلبه - ولو أفتاه المفتون في كل ما يحمل من أمانة ، ويكون - بدافع الوعي الثقافي بمعناه الاخلاقي - مستعدا دائما لمحاربة قراصنة المجتمعات وقطاع طرق مستقبلها ، ويكون مستعدا دائما ليقول للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت ، وذلك لتستقيم الحياة وتتعدل موازينها .

كل هذه المزايا أيها السادة تكون :

- للثقافة .

- وفي الثقافة .

- وبالثقافة (8) .



(8) هذه المداخلة أُلقيت في دار الثقافة بملبانية يوم الأحد 6 جويلية 1986 بمناسبة اللقاء الذي نظمته أسرة مجلة (الاتحاف) الجهوية، لنقاش حاضر المجلة ومستقبلها .

## أثر «الاخلاء» في الحركة الادبية والفكرية بتونس

بقلم : الحبيب الدريدي

ليس من باب الغلو والمبالغة الجزم بأن المتتبع عن كثب لحركة التطور الادبي والفكري بتونس لا بد أن يلاحظ الحركية الجديدة التي باتت تصطبغ بها الحياة الثقافية ببلادنا منذ مطلع العقد التاسع من هذا القرن، من ذلك تأسيس بيت الحكمة وبعث مؤسسة المسرح الوطني التونسي ووضع القانون الاساسي للمثليين وتركيز مجالس ثقافية جهوية وصدر دفع هائل من النشريات والمجلات المتباعدة الاهتمامات والاهداف وبروز ظاهرة الصالونات الادبية الى غير ذلك من أشكال الانتعاش الفني والصحو الفكري .

وفي هذا الخضم الادبي وهذا الزخم الثقافي ظهرت مجلة الاخلاء «ميلادا حيا لخلية حية في جسد لا يكون حيا الا بحياة خلاياه» (1) وخرجت على الناس محلاة بأقلام المسكونين بهاجس الابداع، تصوح بعبير الخلق والتأليف في جميع ألوان الكتابة الادبية من شعر وقصة ونقد...

وقد ركزت الاخلاء عملها على نشر الانتاج البكر للادباء الشبان تشجيعا منها لهؤلاء وأخذاً بأيديهم وشدا لازهم والمسير بهم على درب امتلاك ناصية الابداع وترويض جواد الشعر حتى الاخضاع وحوز الادوات الفنية اللازمة للتمكن من أصول اللعبة الابداعية، وهكذا آلت الاخلاء على نفسها أن تنفض الغبار عن دقات المبدعين وملفات الكتاب والادباء الشبان وأخذت عهدا على متابعة تطور أعمالهم وتقديم تجاربهم في اطار سنة التواصل والاضافة .

كما يعد تشجيع الاخلاء للبوكر قصما لظهور الانتظار المعيق الذي يقض مضاجع الشباب من المبدعين ومساهمة جادة ومؤسسة في حل أزمة النشر التي أضحت داء عضالا ينخر كيان حياتنا الفكرية والادبية «فعمليات الخلق الفكرية والفنية متوفرة في تونس لكن وسائط بثها والتعريف بها - اي نشرها -

(1) الصانق شرف (افتتاحية العدد الاول) .



تكاد تكون مفقودة في تونس والاخلاء تحملت مشاق هذه المسؤولية الخطرة بالرغم من امكاناتها الضعيفة ماديا» (2) وقد عايش رجال الاخلاء بانفسهم ومن خلال تجاربهم الذاتية صعوبات النشر ومعوقاته ووقفوا على حقيقة تكالب الناشرين وتلهفهم على الربح المادي، فجاءت مجلتهم رافضة للتعامل، التجاري مكتفية - مما تنشره - بما يحصل لها من غنم أدبي مفتخرة بأنها تفتح في بداية كل شهر وعند منتصفه بابا أو كوة لاحد المبدعين الشبان ليصافح من خلالهما النور وتخرجه بالتالي من دائرة الظل إلى دائرة الضوء، فكان أن رفعت التحدي وكسبت رهان الاصرار على ربح معركة النشر فهي «التي أخذت بأيدي كتاب كثيرين كانوا يتشوقون إلى نشر محاولاتهم الادبية المختلفة من شعر وقصة ودراسات فصيرت هذه السلسلة حلمهم حقيقة وفتحت لهم منافذ التحرير والتعبير فبفضلها أمكن التغلب على عوائق النشر وتذليل صعوباته القائمة في وجه المبدعين من الكتاب الشبان» (3).

كما جمعت الاخلاء من حولها مجموعة معتبرة من شباب الطليعة الادبية ومن ذوي الاصوات الابداعية الواعدة التي بدأ يتردد صداها في الداخل والخارج ولم تكن لتبلغ مستوى هذا الاشعاع والانتشار لولا تأشيرة الاخلاء التي «أثبتت أنها جديرة بالحياة لانها لم تحتكر الحياة لنفسها فحسب بل أخذت تعمل جاهدة لتهب الحياة إلى أجنحة في بطن الساحة الادبية التونسية» (4).

ولم يعن تشجيع الشباب واحتضان تجاربه الابداعية - عند الاخلاء - مدعاة للتنازل عن مبدأ الجودة الذي أقرته المجلة منذ أعدادها الاولى، فكانت الاخلاء من الدوريات القليلة التي توصلت إلى الموازنة بين موازنة الادباء الشبان والمحافظة على مستوى ابداعي جيد، فوفقت بين ما التزمت به وما أخذته على عاتقها من مساندة ودعم لادب الشباب وأخذ بيد بواكيرهم وبين ما يحتمه ويفرضه واقع النهوض بمستوى أدبنا الوطني من مراعاة للجودة الفنية ودره للرداءة والضحالة فجاء محتواها في «شكل طلائعي بدون انزلاق في الاستلاب المجاني أو في الشعر التهريجي الصاخب» (5) بعكس العديد من

(2) الشاذلي الساكر (افتتاحية العدد الثامن والعشرين).

(3) د. محمد صالح الجابري (افتتاحية العدد السابع والثلاثين).

(4) افتتاحية مجموعة الشاعر يوسف رزوقة (امناز عليك بأحزاني).

(5) نفس المصدر.

الصحف والنشریات الأخرى التي سريعا ما تسقط في مآهات الأسفاف والابتذال، بحجة تشجيع الكلمة الشابة .

هذا، وعمدت الاخلاء من ناحية أخرى إلى التركيز على نشر المجموعات الشعرية إيماناً منها بأن الشعر مهضوم الجانب يحتل آخر مرتبة من اهتمامات الناشرين والموزعين نظراً لضعف المردود المادي للمجموعات الشعرية .

إلا أن ذلك لم يمنع من أن يكون محتوى المجلة متنوعاً إذ أنها احتضنت بقية ألوان الكتابة الأدبية المتعارفة فخصصت عدداً غير قليل من أعدادها للمجموعات القصصية والدراسات النقدية فكتب محمد العايش القوتي دراسة حول الشعر المنجمي وأحمد الصولي حول الأدب التونسي الحديث وعلى دب حول الأدب الذهني... إلى جانب البحوث الفنية والعلمية على غرار كتاب محمد بن الأصفر قلم سينمائي يرفض التلون والدراسات الفلسفية شأن ما كتبه الشاذلي الساكر عن الأستيمولوجيا والكروني سيكلوجيا، إضافة إلى أناشيد الاطفال المجسمة في مجموعة محمد علي الهاني (أهازيج) والمسرح في عمل الكاتب الفلسطيني عبد الله عيسى (عسقلان) فضلاً عما ترجمه محمد الشتيوي وعلى اللطيف عن قصة دينال ديفوا (مغامرات بحار) وبهذا العمل المتنوع تكون الاخلاء قد استجابت لجميع الأذواق وتوجهت لمختلف الفئات والأصناف وجمعت جل المشارب والمذاهب فأصبحت بمثابة الروضة الغناء التي بها من كل بستان زهرة ومن كل شجرة ثمرة .

كما اهتمت الاخلاء بعمل فريد من نوعه لم تسبقها إليه في تونس نشرية أو مجلة وتتمثل هذه المبادرة في إقدامها على نشر المجموعات الإبداعية المشتركة ، فنشرت في مناسبة أولى مجموعة شعرية تحمل عنوان (لغة الاغصان المختلفة) اجتمع فيها خمسة شعراء هم الصادق شرف وكمال قداوين ويوسف رزوقة والحبیب الهمامي وعبد الله مالك القاسمي، ثم أصدرت في مناسبة ثانية مجموعة شعرية مشتركة أيضاً تحمل عنوان (الرياح اللوآقح) ساهم فيها أربعة شعراء هم محمد العايش القوتي والناصر عليّة وعبد الرؤوف بوفتح والبشير المشرقي ، وظاهرة «المجموعات المشتركة سواء كانت شعرية أو قصصية لم تكن موجودة في تونس ولا هي معروفة قبل ذلك ولكنها كظاهرة برزت في الشرق العربي منذ مدة طويلة خاصة لدى الأدباء والشعراء

الفلسطينيين المنضوين تحت لواء اتحاد الكتاب العرب بدمشق. ولذلك تعتبر الاخلاء أول من بادر باصدار المجموعات في تونس ليس فقط بل وأول اصدار لكتب بطريقة دورية متسلسلة الحلقات ولكن ليست اخر مؤسسة تقوم بذلك فقد جاءت دار القلم بعد ثلاثين كتاب من الاخلاء لتنسج على منوالها سلسلة متتالية الحلقات من الكتب المرقمة تحت عنوان الخطاب الحديث» (6).

وفي نطاق سعيها الدؤوب من أجل تقارب أجزاء الوطن العربي بعضها من بعض وعملها الدائم على لم شتات الامة العربية واصرارها على السفر من الماء الى الماء عبر الجسور المتينة للكلمة خصصت الاخلاء بعض أعدادها لنشر الانتاج الادبي لمبدعين من مختلف أقطار الوطن العربي فاطلع القراء في تونس على مجموعة شعرية للكاتب العراقي محمد حسين ال ياسين تحمل عنوان (أناشيد أرض السواد) وعلى مسرحية (عسقلان) للفلسطيني عبد الله عيسى ومجموعة (يتشكل الغيم في رحم المدينة) للشاعر السوري المولد الفلسطيني الجنسية هادي دانيال، فأكدت بما لا يدع مجالا للشك والمواربة أنها «تعمل على تقارب أجزاء الوطن العربي بعضها من بعض انطلاقاً من الكلمة المضينة الى الفعل الذي يجسد تلك الاضواء بدون حدود» (7).

والاخلاء من المناصرين حتى التعصب لايقاع القصيدة العربية القديمة وأوزانها، والرافضين حتى الكفر لكل تمرد غير مؤسس على هذه الاوزان وكل الغاء لها باسم الكتابة في غير العمودي والحر فكتابها ينتمون الى الايقاع المميز للقصيدة العربية ويهجمون بالابداع في كنف اوزان الخليل بن أحمد .

ورغم ذلك فهي لا تتعصب حتى التحجر لمذهب أدبي دون غيره ولا تهجر حتى العداوة اتجاها فكريا لآخر، فلا تلجم أفواه من لم يلتزموا رؤيتها الابداعية ولا تخرس أصواتهم ولا ادل على ذلك من احتوائها لمختلف التجارب الشعرية وفسحها المجال أمام مبدعين يصدر عن اتجاهات فكرية وفنية متباينة كل التباين بل ومتناقضة تمام التناقض، فهي تنشئ وتبني نهضة أدبية بعيدا عن النعرات الطائفية والصراعات الايديولوجية لانها «المدرسة القائمة على تعدد الاصوات والاختبارات لا تتعصب لادب دون غيره ولا تساند اتجاها ضد

(6) عبد الله مالك القاسمي (افتتاحية العدد السادس والثلاثين) .

(7) الصادق شرف (افتتاحية العدد الثالث عشر) .

آخر ولا تستنقص من جهد مبتكر أو عمل متواضع إذ طالعنا في هذه السلسلة الشعر العمودي إلى جانب الشعر المتمرد والشعر الملتزم إلى جانب القصة الراضة والدراسة الطريفة» (8) .

فهي ضد أي توجه لا لون له وضد أي لون لا ضوء له، لا هم عندها إلا أن يكون الضوء قادرا على اجلاء الظلمة وتنحية الحلقة وفرض اللون بالجودة الفنية والعمق المعنوي «فلا يهمها من أي نافذة يأتيها الضوء كما لا يهم النافذة أي ضوء يعبرها ما دام مستطيعا بلونه الخاص به أن يطرد الظلام على الوجود» (9) .

وبذلك أمكن للاخلاء أن ترسي دعائم مدرسة أدبية بأسرها من خلال افرازها لجيل من الكتاب اثرى بلا ريب المكتبة الادبية التونسية وامتلك أحقية الحضور الابداعي لا على المستوى القومي فحسب بل وأيضا على المستوى العربي حيث بدأ صدى هذه الاصوات يصل إلى أنأى تخوم البلاد العربية بل أكثر من ذلك ويحوز الاعجاب والتقدير خلال المهرجانات الشعرية التي تنتظم بالمغرب والمشرق كمهرجان المربد بالعراق وغيره كثير فأمكن «إفراز جيل من الكتاب الذين أصبحوا يشكلون اليوم مدرسة جديدة ومتجددة تثري الرصيد الادبي التونسي وتربط ماضيه بحاضره ومستقبله» (10) . فعبقت حديقة الاخلاء بعديد الاسماء ذات الشذى الادبي الناضح - كالصادق شرف وعبد الله مالك القاسمي واحميذة الصولي في الشعر وعلى ساسي ومحمد الدرويش في القصة والشاذلي الساكر وعلي دب وأحمد الحمروني في الدراسات النقدية والفلسفية - والتي يجمع بينها الابداع كعملية خلق جديد للعالم وضع للجمال في كوكب بدأ يفقد جماله أو هو بالاحرى فقدته بعد ، والذي يربط بين شعراء الاخلاء «هو ما يجب أن يجمع بين كل الشعراء، أعني الشعر ، الشعر بمفهومه العميق من حيث هو فن أصيل وسلاح صقيل يحارب كل أشكال القبح من أجل خلق واقع جميل تتحقق فيه انسانية الانسان» (11) .

(8) د . محمد صالح الجابري (افتتاحية العدد السابع والثلاثين) .

(9) الصادق شرف (افتتاحية العدد السادس عشر) .

(10) د . محمد صالح الجابري (افتتاحية العدد السابع والثلاثين) .

(11) عبد الله مالك القاسمي (افتتاحية العدد السادس والثلاثين) .

ولم يكن ليتحقق ذلك للاخلاء الا بفضل اصرارها حتى التعتنت على رفع التحديات وإيمانها حتى رسوخ العقيدة بجدوى الفعل والعمل دون الثروة والغوغائية وانقطاعها إلى خدمة الفكر والادب في ربوع الخضراء متخذة لنفسها مبدأ وشعارا تنضح منه رائحة تمجيد العمل ورفع شأنه وإنكار الجمود وازدراؤه :

«نحن جمع لا ... ولن نؤمن إلا بالعمل ...  
ليس منا من يقل (قلت) ومنا من (فعل)!» .

وللاخلاء وجهة نظرها في الحركة الادبية بتونس وخصوصا الشعر فهي تنفي ما يشيعه ويروج له البعض من أن الشعر في بلادنا يعاني أزمة بل ترى أنه بصدد عراك شريف بدونه لا تصنع اضافة وصراع نزيه وجوده ضروري ككمياس للجودة وتأشيرة بقاء واستمرار أو مؤشر فناء وتلاشي ، فليس صحيحا إذن «ما يروجه ضعفاء الايمان والنفوس من أن الشعر التونسي يعيش أزمة ، انه يعيش معركة شريفة وصراعا جميلا من أجل الحضور والبقاء وصنع الاضافة ولا يتمثل شرف المعركة وجمال الصراع الا في ذلك وسواه باطل» (12).

أما عن قضية النقد ، فالاخلاء مؤمنة بفاعلية النقد المؤسس الذي يتجه للبناء دون التحطيم ، رافضة رفضا قطعيا للنقد الناسف المدمر ولكل أشكال الثلب والتهمج .

وإذا أمكن لنا أن نؤاخذ الاخلاء حاضرا على أمر ما قلن يكون إلا عزوفها عن مواصلة ما بدأتها وزهدا في ما صحت العزم على الالتزام به من أخذ بيد المبدعين الشباب واهتمام بأولوية نشر باكورات انتاجهم شعرا كان أو قصة ، إذ أنها بدأت تأخذ توجهها جديدا تنشر بمقتضاه لاسماء أخذت مواقعها في الساحة الادبية ولم تعد تجاربها الابداعية في حاجة للمتابعة والتقصي ، وإن كنا لا ننكر عليها ذلك ولا نعييبها فيه فاننا نود ألا يكون على حساب ملفات ودفاتر ترهص بالابداع وتفيء بالمعاني ولكنها على ذلك لا تزال تحت وطأة

(12) عبد الله مالك القاسمي (افتتاحية العدد السادس والثلاثين) .

الانتظار تعانق الظلام وتلتف بالغبار ترقب بنفاذ صبر ساعة الخروج الى  
النور والشمس .

والاخلاء من المؤسسات القليلة التي لم تهتم بنشر أدب نسائي ذي بال رغم  
ما يشهده هذا اللون من الادب في أيامنا هذه من تطور واشعاع وما بلغته  
صاحباته من نضج ابداعي وفني تجلى بوضوح من خلال (ملحمة الموت  
والميلاد) لسميرة الكسراوي (ورعشة حلم) لنعيمة الصيد و(في كل جرح  
زنبقة) لنجاة العدواني .

وما يمكن الخروج به من هذه الدراسة المتواضعة هو أن الاخلاء توصلت  
في ظرف قصير الى وضع بصماتها في الادب التونسي الحديث وتوقفت إلى  
تكوين مدرسة ابداعية فريدة يفخر الادب التونسي بجميع خريجياتها ويعترف  
لها بجليل فضلها عليهم ، وهي الان إلى جانب مؤسسات أخرى نخص بالذكر  
منها دار سيراو ودار الرياح الاربع بصدد القيام بعمل جبار - سيحفظه  
التاريخ لها - يؤكد النهضة الادبية والفكرية في تونس اليوم .

في 1986/7/21

المنظمة القومية للطفولة التونسية

المصانف والجولان

المكتب الجهوي سليانة

رحلات الى داخل الجمهورية .

رحلات الى الخارج لغائدة الاطارات واحباء المنظمة .

مصانف للاطفال داخل الجمهورية .

مصانف للاطفال خارج الجمهورية .

العمر من 7 الى 14 سنة .

امتيازات خاصة للمتمتعين بالضمان الاجتماعي .

العقر : شارع الجمهورية، سليانة

الهاتف - (08)70.150



من ديوان « حساب السنين »

الشوق اللاهث

للشاعر : الهادي نعمان

أبداً يَسْتَحِثُّهُ الأمل المَغْفَى .      حُصُوبُ شَوْقًا حَتَّى يُعِيدَ شَبَابَهُ  
وَأَنْدِفَاعَ إِلَى المَجَاهِلِ يَحْدُو .      هُ فَيَمْنَعُنِي وَالْغَيْبُ يَطْوِي كِتَابَهُ  
مَا ذَرَى مَا بِهِ وَهَلْ يَدْعِيهِ      شَاجِرُ كَسْرِ الزَّمَانِ رَبَابَهُ  
غَيْرَ أَنْ الشَّبَابَ أَقْوَى مِنَ الذَّهْدِ      فِي الشَّعْرِ مَا يُبِيدُ سَحَابَهُ  
الْفَرَاغُ الَّذِي أَغَانِي أَمِيلَاءُ      يَقْهَرُ المَوْتَ بَلْ يُزِيلُ ضَبَابَهُ  
فَإِذَا بِالحَيَاةِ فِي غَالِمِ الشَّأ      عِرْ نُورٍ مِنْهُ يَعْجَبُ شَرَابَهُ

★ ★ ★

الْمَآسِي الَّتِي أَغَانِي شَبَابَهُ      هُوَ يَطْوِي حَتَّى الرَّجَا وَمَسْرَابَهُ  
يُشْمَرُ الرَّغْبُ يَسْتَحِثُّ خُطَاهُ      يَتَحَدَّى الشُّعُورَ يَبْغِي خَرَابَهُ  
عَجَبًا لِلْحَيَاةِ تَفْقِيكَ بِالْقَلْبِ      بِ الْمَغْذَى وَجُودَهَا وَرَحَابَهُ  
الْإِيَالِي.. أَمَالَهَا مِنْ صَبَاحِ ؟      السُّرَى طَالِ بِي وَعِفْتُ رِكَابَهُ  
وَرِخَالِي تَطْوِي صَحَارِي حَيَاتِي      مُثْقَلٌ كَاهِلِي ، جَهَلْتُ وَطَابَهُ  
مِخْنَةُ النَّفْسِ أَنَّهَا تَحْمِلُ الْمَجْدَ      هَوْلُ كَرْهَا وَتَسْتَرِيدُ عَذَابَهُ  
إِنْ سَأَلْتُ الْإِنْسَانَ أَيْنَ مُنَاهُ      يَجْهَلُ العُرَى كُنْهَهُ وَحِسَابَهُ

★ ★ ★

شَوْقِي اللَّاهُثَ الْمُحَطَّمُ بِأَبَةٍ  
بِرْ دُومًا وَمَا اسْتَطَعْتُ اجْتِنَابَهُ  
عَثَّ وَالْقَتَّ عَلَى الْفُؤَادِ جَجَابَهُ  
لِ يُعَانِي لَدَى النَّجَى أَنْعَابَهُ  
دُونَهُ الْمَوْتُ سَاقِيَا أَكْوَابَهُ

عَذَّبْتَنِي نَفْسِي بِأَوْهَامِ نَفْسِي  
ذَآكَ شَرَّ الْبَلَاءِ فِي سَيْرِي الْعَا  
أَيَّ شَرِّ أَقْوَى مِنَ النَّفْسِ إِنْ رَا  
إِنْ أَعْمَى الْفُؤَادِ يَخْبِطُ فِي اللَّيْلِ  
الْمُقَامَاةُ فِي الظَّلَامِ شَقَاءُ



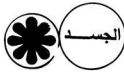
« حسابُ السنين » هو الديوان الثاني بعد ديوان النعم الحائر للاستاذ الشاعر الهادي نعمان . حساب السنين ميسدر قريبا عن الشركة التونسية للتوزيع بتونس .



## وصولاً إلى المستوى الذي يرضيك

لن ننسى وعدنا في خصوص تطوير مجلة « الاتحاد » التي هي منك وإليك، فلا تنسى أنه لا يمكنها أن تعيش وتطور إلى بمؤازرتك وتعريفك بها لدى كل الاصدقاء وفي كل مكان.





ليوسف عبد العاطي

قصة :

انطلقت الفتاة تجري وسط الضيعة وهي عارية الجسد ... والريح تتلاعب  
بخصلات شعرها الاسود الناعم والشباب من ورائها يصيح : استري ضعفي :  
فأنت والله مجنونة ...

واصلت الفتاة جريها دون اكرثات بما كان يقوله الشاب من ورائها فهذا  
جسدها تفعل به ما تشاء... إنه بقية حريتها...

وقف بعض الشبان أمامها يمنعونها من مواصلة الطريق فتعريه الجسد  
عار . يجب عليهم جميعا ستره فما يال هذه الفتاة تشد عن الواقع .

توقفت عن الجري تسترجع أنفاسها وهي تلهث بصوت مسعور ابتعد  
بخيال الشبان بعيدا... فهمت ما أصبح يجول بخاطرهم من نظراتهم المتقدة.  
بقيت تنظر إليهم بإغراء دون أن تنقطع عن اللهيث والريح تتلاعب ببعض  
خصلات شعرها الناعم الذي انسدل على اكتاف جسدها العاري .

ابتعد كل شاب عن الآخر متمنيا التمتع بهذا الجسد المكشوف أمامه ...  
انها وليمة جاهزة ولا ينقصها الا غسل اللين للشروع في الاكل... آه ما  
أروع الخيال زمن الجبن...

حين رأت العيون قد زاغت انطلقت كالمهم ثانية بينما أصبح عوض  
الشباب الواحد مجموعة من الشبان تجري من ورائها...

قطعت الفتاة المسالك المؤدية إلى البحر وهي تجري دون أن يعترضها ما  
يقلق سيرها... انه المكان الوحيد الذي يستطيع تطهيرها من تلوث هذا الجبل

الصخري المليء بالضيعات... خاصة وأنها قد أخذت بعدا كبيرا عن ملاحقها...

حبر وصولها البحر صاحبت النسوة اللاتي كن يغتسلن بماء البحر... «يا للعار... يا للعار». خرجن إليها ملتفتين في قطع بالية لانهن أيضا كن عاريات الأجساد داخل الماء، تحلقن بها يردن تغطية جسدها الذي كان ينزف عرقا. فهن الآن نساء فقط وقد كن جميعا عاريات.

لكن الفتاة رفضت تغطية جسدها الذي بدأت تحس بحركيته أمام الأجساد التي صارت مغطاة أمامها.

عندها منعنها النسوة من متابعة الطريق فوقفت تنظر إلى هذه الأجساد التي لا تزال تقطر ماء مالحا وهي تريد منعها عن المسير...

في تلك الاثناء وصل الشبان الذين كانت قد سبقتهم وكثر الصباح، لكن جميعهم متفقون على منعها من مواصلة الطريق...

أطرفت بعض اللحظات تفكر وهي تلهث كعادتها لامسة بعض اطراف جسدها المثيرة بكل رقة رامية من وراء ذلك إلى إثارة الشبان أكثر بينما كان الجمع يقترب منها شيئا فشيئا.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قيل أن تقع محاصرتها صاحبت بقوة وبسرعة مهولة أخذت تخلع للواحدة تلو الاخرى ما سترن به عورائهن...

عندها تفرعت من الجسد الواحد العاري أجساد فارتبك الشبان وهلعت النسوة... وارتعت الأجساد التي كانت تنضح عرقا في احضان الشبان خوفا من أن يصبحن عاريات بينما تسأل الجسد الذي بقي عاريا وواصل شق طريقه.

وامام ما وقعت فيه الجماعة اشتدت حرارة الانفاس وزاغت الابصار... فتلاحمت بعض اجساد النسوة العارية بأجساد الرجال...

بينما بقي من لم يسعفه حظ الالتحام برجل يتابع ما يجري أمامه باشتهاء... أو حمدا...

تركت الجمع في ما شغلوا به وواصلت طريقها وهي مرتاحة البال من كل ملاحق... قد كانت تريد التطهر بالبحر فأبى أصحابه وليس أمامها الان إلا

مواصلة الطريق انه القدر، قدر الاجساد العارية...

هرع لها الناس تاركين المقاهي والحوانيت فور وصولها إلى السوق والتفوا بالجسد الذي كان ينضج عرقاً تحت نور الشمس حتى صار اشد لمعانا إلى الاعين من البرق في فصل الامطار... بينما كانت تتبختر في مشيتها وهي تلهث فتزيد بذلك في اغراء الحاضرين.

صاح الاول : ليت كل الفتيات ينسجن على منوالك... انظروا كيف تكون الشجاعة يا رجال.

قال الثاني : لو كان ما قامت به هذه الفتاة شجاعة فلنكبر على الدنيا أربعا ثم نقول : «السلام عليكم».

قال الثالث : حتى تعرية الاجساد أصبحت شجاعة!! يا سبحان الله!

قال الرابع : وهو يقهقه : كل ما يوصلنا إلى الجمال شجاعة... فما بالنا بكل الجسد وهو عار... انظروا انه روعة في الجمال...

قال الخامس وهو يولي وجهه شطر مسجد القرية : انها والله نهاية العالم...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قال السادس : بل الجمال كان بداية الحياة...

بقيت الفتاة تنظر إلى هذا الحشد الكبير من الرجال بعين فاحصة فيها من الاغراء الشيء الكثير... هؤلاء الذين تركوا زوجاتهم بالبحر ليقضين حاجتهن منه... اشتدت حرارة انفاس الرجال لهذا الابتسام الذي كان يزيد في اغرائهم بهذا الجسد العاري الذي لم يجرأ أحد على لمسه ربما كان ذلك جينا وربما أيضا قوة في التحكم أمام الاغراء...

قال الشيخ وقد كان جالسا بالمقهى وعيناه تتفحص الجسد بكل دقة : انتهى الرجال... جسدها عار بنون عائل! والله هذا أعجب العجب...

كانت الاجساد مخبأة تحت أغطية متعددة ومع ذلك لم تسلم من رجولتنا... والان الجسد عار أمامكم دون أن يحرك أحد ساكنه... فلعنة الله على من يتوكل على الصغار...

ونهض من مكانه متجها صوب الجسد العاري وهو يلعن ويقول :  
«... دعوني أرىكم كيف تقع ممارسة العمل مع الجسد... انه أحلى  
لأعمال...»

تحمس بعض الشبان لكلام الشيخ فتحركت أعينهم تنفّس في الحاضرين  
خوفا من الوشاية... ولكن... وقبل أن يتحرك أحدهم هب شيخ وقور يغطي  
الجسد العاري ببعض الخرق التي كانت تغطي جسده وهو يقول : «... اتقوا  
مولاكم يا عباد الله وتذكروه...»

صاح في تلك الاثناء شاب بعد أن رمى الشيخ بعنف على الارض وهو  
يعين الفتاة على نزع الخرق عن جسدها ويمني نفسه بالتمتع... «دعنا نرى  
الله من جمال خلقه...» لم يقبل ابن الشيخ تعنيف أبيه أمامه فارتدى على  
الشاب يصفعه واغتاض أخ الشاب لذلك فارتدى على الابن يلكمه... وارتمى  
آخر... وآخر... وآخر... و...

في هذا الضجيج الهائل تبسّمت طويلا وهي تنظر إلى الحاضرين بجسدها  
العاري ثم تركت وسط السوق واتجهت من حيث انطلقت أول مرة... أي  
صوب الضيعة.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

نظرت وراها للتأكد من عدم وجود من يتبعها فرأت بعض النسوة  
يستغفرن من وراه شقق الباب صنيعها. ثم وحين وصل نظرها إلى الطريق  
الذي خلفته وراها دهشت... هذا غير صحيح... الا اذا فقدت بصرها منذ  
انطلاقها وكان كلما تقدم منها الشبح خطوة إلا وزاد تأكدها... نعم... هو...  
هو... قال الشاب وهو يتقدم إليها بعد أن توقفت عن المشي : نعم... نعم...  
هو ذاك الذي هربت منه في البدء وتحاولين الفرار إليه الآن بعد التعب .

قالت : لكننا نفر عادة إلى ما هو أمامنا وليس إلى ما تركناه خلفنا...!

قال الشاب : قد يكون في العودة تقدم أو تثبيت للاصل...

نظرت إليه بتمعن ودون أن تشعر أو ربما فوق احتمالها سالت الدموع  
من عينيها فأسرع الشاب يمسح دمعها قبل أن يصل خدها وهو يقول :

«لا تبكي... لا تبكي... فالبكاء عدو الجمال... منذ بدأت الجري وأنا أتبع  
رسم خطاك... وكل حواسي تقول : هذه خطاها فانطلق... ربما تكون بداية  
الولادة... فانطلق انطلق...»

لفته بقوة على جسدها وهي تشهق وتقول : ما هي الفائدة الآن وقد طاف  
هذا الجسد بكل أرجاء القرية دون أن يحصل على ثمرة الولادة؟

قال الشاب : الثمرة بعرقنا وجهدنا نزرعها لكن... حقيقة عملنا تتمثل في  
تهيئة زمن الولادة... فاضحكي... اضحكي...

قالت وهي تبتسم : لكن... لماذا...؟

قال الشاب : لأن الارض التي حرثتها الآن بجريك وسقيتها بعرق هذا  
الجسد الجميل قد أنبتت زيتونا أخضر الاغصان أسود الحبات...

قالت : ... أيضا ... لماذا أضحك ؟

... صمت الشاب ...

بعد أن نظر الشاب طويلا إلى السماء وحين رأى الشمس تميل إلى  
الغروب أحس بتعب كبير ينتابه فأصبح ينظر إلى الجسد العاري عوض  
السماء التي بدأت تنذر شمسها بالغروب والفتاة أمامه تنظر إليه بجسدها في  
صمت جليل ...

مسك الشاب بيدها وهو يبتسم فابتسمت . ثم تبعته حيث جذبها دون أن  
تنبس بكلمة وجلست معه فوق أرض زيتونة لم تثمر بعد...! بقي الشاب  
ينظر إلى الشفق الأحمر الذي تبقى من نور الشمس وإلى الجسد الجميل الذي  
كان يحاذيه دون أن ينبس بكلمة .

حين غاب الشفق الأحمر من السماء... بقي الشاب يبخلق في أرجاء  
الفضاء. قالت : ... ما قيمة الراحة من إرهاق التعب بدون إدراك الهدف؟

3 ماي 1981



## هل الاسلام نظام ديمقراطي ؟

عبد الكريم الوسلاتي

ان طرح قضية الديمقراطية مجردة عن الاضافة لا يطرح لبسا واشكالا في حد ذاته بقدر ما تطرحه اذا خصصناها وحددنا مجالها وربطناها بالظروف الموضوعية التي تنتزل فيها ومن هنا تعددت المفاهيم حول هذا المصطلح القديم المتجدد باعتباره ظاهرة انسانية تخضع لمعيار قيمي تكتسب من الواقع قيمتها الظرفية التي يفرزها والتي تبقى حقيقة نسبية لا يملكها انسان بعينه بقدر ما تسعى الانسانية لاستكشاف جوهرها وتكييف مضامينها حسب المعايير الواقعية لها على أساس أن الفعل الانساني درك موغل في التاريخ يخلق الابداع الحضاري ويبعث الوعي الجمعي لتحقيق التغيير، فهي بذلك مقوم أساسي لاستمرار فجاح كل تجمع بشري حتى في أبسط صوره كالعائلة، فإذا كان الأمر يتعلق بإدارة مؤسسة كبرى كالحزب أو الدولة زاد تأكدا والحاذا، ومما يثير الانتباه بين العام والخاص في أيامنا ما يطرح من علاقة بين الاسلام من جهة والديمقراطية من جهة ثانية، وحول ما إذا كان الاسلام «نظاما ديمقراطيا»؟ وإذا كان ذلك كذلك فهل من فرق بين ديمقراطية ينشئها الاسلام وأخرى ينشئها الغرب بشقيه الليبرالي والاشتراكي؟

الديمقراطية بمفهومها السائد مصطلح سياسي أنتت به الثورة الفرنسية وناذت به محاولة تحميله مضمونا انسانيا وطهرته من بقايا الامتيازات الطبقية التي اكتسبتها من بلاد اليونان وبين ما غزا البلاد الاسلامية اثر الغزو الثقافي والحضاري الاستعماري وأصبح شعارا يشف عما إذا كان النظام السياسي يتولاها الشعب بنفسه أم طبقة أم أسرة ، واخر ما طالعنا على أعمدة الصحف ومؤلفات الباحثين في النظرية السياسية الاسلامية قولهم : «الاسلام نظام ديمقراطي» في حين أثبت البعض الاخر أن لا ديمقراطية في الاسلام «وجملة القول أن النظرية السياسية الاسلامية أصبحت لغزا من

الافاز وخليطا من أجزاء متناقضة يستخرج الناس منها ما راق لهم» (1). ولازلة اللبس لا بد من تجلية المفاهيم الاساسية لكل من كلمة الديمقراطية والاسلام والنظر في ما اذا كانت بينهما روابط سواء على المستوى اللفظي أو المضموني.

تكاد تجمع التعاريف الفلسفية والسياسية للديمقراطية على أنها مجموعة من الحقوق في حين أن المفهوم الاساسي للاسلام يعني مجموعة من الواجبات لحل الحديث المروي في كتاب الايمان للبخاري خير معبر على ذلك، عن أبي هريرة كان صلى الله عليه وسلم يوما مع أصحابه لما قدم عليه رجل فسأله عن الايمان فقال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت والحساب وبالقدر خيره وشره... فقال : فما الاسلام! فقال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان...» وهي مكونات العقيدة الاسلامية في أسسها الستة، ومن هنا تظهر صعوبة التقريب بين المفهومين انطلاقا من المفاهيم اللغوية والقاموسية فهل يعني ذلك أن لا تقارب بينهما على المستوى المضموني؟

للإجابة على هذا السؤال علينا النظر في النقاط الثلاث الآتية :

- 1 - من حيث كونها شعورا ذاتيا .
- 2 - من حيث كونها مجموعة ظروف اجتماعية وسياسية تفتح المشاعر لدى الأفراد.
- 3 - من حيث كونها شعورا تجاه الآخرين .

إن الاحساسات الديمقراطية لا يمكن أن تسقط على الواقع ولا أن تلد في أي بيئة وفي أي زمان أو مكان وبالتالي تفي كونها مكتسبة من الطبيعة عكس ما ذهب إليه الفلاسفة الرومنطيقون أمثال روسو وفولتير... فهي كما يقول مالك بن نبي : «لتقويم معين للانسان على مستواه الشخصي وعلى مستوى علاقته بالآخرين» (2) فالثقافة والبيئة المعنوية والحضارية هي التي تنشأ الاحساس وتولد نوعا من التعامل في مستويات مختلفة فقد بين Guizot

(1) نظرية الاسلام السياسية ، أبو علي المودودي ، ص 6.

(2) حول الديمقراطية في الاسلام ، مالك بن نبي ، ص 10.

«فَيَزُوت» في تاريخه لاروبا من تاريخ سقوط روما 476م إلى حد الاعلان العالمي لحقوق الانسان النشأة السحيقة للاحاساس الديمقراطي فالتحرر الذي بلغته اوروبا ليس راجعا لحركة طبيعية انما كان نتيجة لحركتين ثقافيتين حركة الروح عن طريق حركة الاصلاح الديني المسيحي وتحرر العقل والذات ذلك المعنى الذي لا يمكن أن يكون قانونا عاما للانسانية لانه خاص بأروبا في ظروف محددة زمنيا ومكانيا. والديمقراطية هي كذلك شعور تجاه الذات يتجاوز الانانية والفرعنة وتضخم الانا على حساب المجتمع فهي اثبات للذات بطرق بريئة من الحيف والاعتداء واضطهاد من لم تمنحه مواهبه بعض الامتيازات فهي احساس يمثل نوعا من الحد النفسي يبدو تحته شعور الرق وفوقه شعور الاستبداد فالحرية في النظام الديمقراطي اثبات بين هذين الامرين المتناقضين الرق والاستبداد ، وعملية التطور نحو الديمقراطية يجب أن تتخلى عن التوجهات المضادة للديمقراطية بالحد من الميل نحو الاسترقاق من جهة والطغيان من جهة أخرى، وما أكثر الكتابات الادبية المثبتة لهذا أو ذاك دونما اثبات لحالة وسط بينهما فقد أورد فيكتور هيجو Victor Higo في كتاب «الانسان الذي يضحك» نصائح على لسان «أورسيس» لقويلاين Guibline قال له : توجد في الواقع قاعدة بالنسبة للكبار وهي «عدم القيام بعمل» وأخرى للصغار وهي عدم التفوه بشيء أي ليس للضعفاء إلا الصمت... الا أن ينطق بقوله «نعم للحاكم الملك» التي ترى إلى أي حد تعبر عن نفي الذات أساس الديمقراطية، كما نجد صورة للمستبد في قصة موسى مع فرعون الذي تضخمتم فيه الانا حتى أعلن الربوبية قال فرعون : «فمن ربكما يا موسى ؟» (3)

فأجاب موسى : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (4).

فالسؤال صادر عن مستبد حريص على امتيازاته إلا أنه صدم بنفي الاستبداد من قبل موسى بل نفي الاحساس الديمقراطي عنده وأحيانا يمكن أن يجتمع النفيان معا وقد قدم لنا التاريخ الروسي مثلا لذلك القيصر اسكندر الذي اراد أن يبرهن لاحد جلسائه الاروبيين عن هيمنته المطلقة على شعب روسيا



فأشار باصبعه الى احد حراسه أن يلقي بنفسه من أعلى القلعة ففعل، فكان نفي الاحساس الديمقراطي مضاعفا هنا، لكن بازاء هذه النقاط الثلاث ولائيات «ديمقراطية الاسلام» ليس لنا إلا أن نتساءل عما إذا كان في الاسلام أصل للنقاط الثلاثة التي ذكرناها وعما إذا كان الاسلام ينشئ هذا الاحساس الديمقراطي؟

ان العملية الديمقراطية مشروع يشمل كامل أفراد المجتمع فإذا استثنينا منه طائفة أو جماعة حق نفي الديمقراطية عنه «فليست الديمقراطية اذن حسب اشتقاقها الاصلي مجرد نقل السلطات الى الجماهير والاعلان عن أن شعبا ما هو بموجب نص دستوري صاحب السيادة» (5) فقد يلغى هذا النص ضمانتيا أو يلغى من طرف مستبد ورغم ذلك تبقى التقاليد الديمقراطية مثبتة على مستوى الممارسات والاعراف كما هو متعارف في المجتمع والتقاليد الانكليزية، وبالتالي فان الديمقراطية لا يمكن البحث عنها في كلمات نص دستوري ولكن على الاصح في روح الاسلام بشكل عام بالنسبة للمجتمعات الاسلامية إذ لا يمكن اعتبار الاسلام مجرد دستور يعلن عن سيادة الشعب وحقوقه ويحصيها ولكنه انطلاقة لمشروع تحقيق العملية الديمقراطية المتأصلة في العالم الاسلامي بقدر تأصل الاسلام فيه «زيادة وضعفا تبعا لازدياد او ضعف تمسك الحكومات الاسلامية بتعاليم الاسلام» (6) فقد جاء الاسلام بشعبية خاصة في الحكم قد ينكر عليها البعض اسم «ديمقراطية» بمذلوله الحديث، واعاد الاعتبار للانسان فأعطاه قيمة تتجاوز كل معنى سياسي أو اجتماعي من خلال التوجيهات القرآنية الصريحة كقوله تعالى : «ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مما خلقنا» (7) فالتصور الاسلامي للانسان يرى فيه تجليا للها على أنه يحمل نفخة من روح الله بينما تراه الديمقراطيات الاخرى تجليا للانسانية وقد عبر ابن نبي عن هذا الفارق في التصور بقوله «فهناك من جهة نمط ديمقراطي تقدمي مقابل نمط علماني» (8) فالديمقراطية قاعدة يبنني عليها وضع جميع الافراد على قدم المساواة في ميدان واحد مع تيسير

(5) حول الديمقراطية في الاسلام ، مالك بن نبي ، ص 14.

(6) الديمقراطية في الاسلام ، د. عثمان خليل ، ص 9.

(7) الاسراء : 70.

(8) حول الديمقراطية في الاسلام ، ص 16.

السبل امام مطالبهم وتهيئة الفرص لهم لينال كل فرد ما هيأته له استعداداته وكفاءاته من فرص النجاح ووسائل التوفيق فصيحة الديمقراطية الاسلامية «الله أكبر» كما يقول روجي قارودي Roger Garodi (9) تحد من كل مقدرة ومن كل مال ومن كل سلطان الا سلطان الله والاسلام ينفي ما يسمى بنظرية الحق الالهي التي تجعل من الامير وكيلًا عن الله في الارض كما ينفي الاسلام الديمقراطية القائمة على التفويض والتنازل عن السلطة الى منتخب أو حزب، فقد تركزت نظرية الاسلام السياسية على نزع جميع سلطات الامر والتشريع من أيدي البشر مجتمعين ومنفردين ولا يؤذن لأي منهم أن ينفذ أمره في بشر مثله فيطيعوه أو ليسن لهم قانونا فينفقوا له ويتبعوه لاختصاص الله بأمر التشريع «ان الحكم إلا لله امر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم» (10) فهذه الآية ونحوها تعلن صراحة أن الحاكمية لله وحده بيده التشريع وليس لاحد وإن كان نبيا، وإن أساس الدولة انما يكون على ذلك الأساس غير أننا لا يمكن اطلاق صفة «الديمقراطية» بمعناها السابق للثورة الفرنسية بأروبا على النظام الاسلامي ولا بالملكي أو الدكتاتوري الاستبدادي لان الحاكم في الانظمة الاستبدادية لا يخضع للقانون فيما يخضع الحاكم المسلم لامر الله ونهيه وإرادة الشعب الذي يحق له خلعه متى خرق قانون الله ومال نحو استرقاق غيره لان «إرادة الشعب لا معقب لها في النظم الديمقراطية وأن الشريعة هي صاحبة السلطان والميادة» (11) .

وقد يتراءى للبعض أن الشعب في الدولة الاسلامية مقيد الارادة مسلوب الاختيار وهي شبهة طالما ردها اعداء الاسلام علمانيين وأصحاب ديانات، ولدفع هذه الشبهة نقول أن طريق الانسان في الاسلام يشبه أن يكون محفوقا بحاجزين يحفظانه من السقوط في هاوية الرق من جهة وهاوية الاستبداد من جهة ثانية فقد ورد في القرآن : «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يردون علوا في الارض ولا فسادا» (12) فهذا حاجز أول يمنعه من الاستبداد وهذا حاجز ثان يمنعه من الوقوع في مستنقع الرق :

قال الله تعالى

« إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم . قالوا : كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها قالواك ماؤاهم جهنم وساعت مصيرا ★ الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . »

(9) فيلسوف فرنسي معاصر أسلم أخيرا.

(10) سورة يوسف : الآية 40.

(11) من نظام الحكم في الاسلام لمحمد موسى يومف.

(12) القصص ، 82.

هذا التكريم الذي يستمده الانسان انطلاقاً من صفته كإنسان مدعوم من جهة أخرى بتكريم خاص اكتسبه بصفته مؤمناً « والله ورسوله وللمؤمنين » (13) ومن هنا نرى أن الديمقراطية متجذرة في ضمير المسلم بواسطة التقدير الجديد لذاته وللآخرين يشف عن تصور رفيع للإنسان يكون فيه محصناً ضد نزوعاته اللاديمقراطية فيمنح حقوقاً سياسية وضمائن اجتماعية في حين تمنحه الديمقراطية العلمانية هذه الحقوق دون أن تجنبه من أن يسحق تحت التحالفات المصلحية والتكتلات الاقتصادية ونحوها، كما لا يخفى أن عملية استيراد دستور جاهز من وراء البحار عملية محكوم عليها بالفشل في غياب البنية النفسية لمشروع تحقيق الديمقراطية وما أكثر التجارب التي حاكتها أيادي الاستشراق واللاهثين وراء كل جديد وكل تقليد لما هو غريب عن هويتنا الحضارية منيت كلها بالفشل الذريع، وقد تميز الأدب السياسي الحديث بأن الأمة مصدر السلطات في حين خيل للبعض أن الأمة في الإسلام مجردة من هذا الحق وهو كلام لا يخلو من نظر بقول محمد عمارة : «ولكن القواعد التي تجعل الخلافة بالبيعة والعقل والاختيار من ممثلي الأمة ، والتي تجعل للأمة الحق في مراقبة الحاكم ومحاسبته/بها توجب عليها ذلك، والتي توجب عليها أيضاً عزله وإن بالقوة، أن هو أخل بشروط عقد التفويض» (13) إن هذه القوانين التي قررها الفكر السياسي الإسلامي تعني ما تعنيه عبارة «الأمة مصدر السلطات» هكذا يتبين أن نظرية الإسلام السياسية نظرية متميزة فليست نظاماً فردياً يهدم الروح الاجتماعية وليست نظاماً جماعياً يضيق فيه الفرد وينوب كما في النظام الشيوعي والانظمة الفاشية، فغاية الفرد في المجتمع الإسلامي غاية الجماعة أين يتجلى البعد الانساني للاستخلاف في هذا الكون وما فيه من توافق غريب بين الفردانية والجماعية يقول الشيخ الطاهر بن عاشور في صفة الحكومة الإسلامية ونزعتها : «إن الإسلام أقام اصولاً وزكاهها مثل العدل والمساواة والحرية والنصح لانتماء المسلمين والشورى» (15) غير أننا لا يمكن أن نؤكد ذلك إلا بالرجوع إلى التجربة الإسلامية في الحكم وأسسها المتمحورة حول الشورى ومضامينها من حقوق سياسية واقتصادية واجتماعية، نبينها في فرصة قادمة .

(13) المنافقون ، 8.

(14) الإسلام والسلطة السياسية ، محمد عمارة ، ص 88.

(15) أصول النظام الاجتماعي ، الشيخ الطاهر بن عاشور.

## « اسد ابن الفرات »

بقلم :  
خميس ذياب

المراجع : رياض النفوس للمالكي - القبروان عبر العصور

التهامي نقرة - مجلة العربي ع104 حد

اصله ، ونشأته : صبي اعجمي المولد سليمي الولاء ، اسلامي العقيدة تدفع بابيه حرارة الايمان . والتفوق إلى الاستشهاد في سبيل اعلاء كلمة الله الى أن يفارق بلده حران من اعمال نيسابور بخمرسان حاملا معه ابنه الوليد وزوجه لينضم إلى جند الله الذاهب إلى افريقيا تحت قيادة محد ابن الاشعث الخزاعي .

وفي الطريق إلى القبروان وعلى نفعات اناشيد المجاهدين القسمية التي يتخللها بين الفينة والاخرى نداءات الله اكبر كلما شارفوا على عدو أو اقاموا لصلاة انفتحت ذاكرة الطفل وربيت عاطفته وعلى صليل سيوف ليوث الله اذ تختلط بقرع الطبول وصهيل الخيل باصوات القراء ومناظر القتال بمشاهد المصلين وعلى نفحات الاحاديث النبوية والآيات القرآنية اذ تنطلق من افواه الوعاظ وتحت وقع احاديث السير والمغازي التي تشيد بعظمة محمد وبطولة اصحابه في مجالس القصص وعي الطفل الوجود متعللا في تلك الصور ونبت فيه الشعور مصيغا بهاتيك الالوان فتحدثت بذلك معالم حياته المستقبلية وكتب له في قضاء الله وهو ذلك الصبي الذي رافق الجيش الاسلامي في مسيرة ما بين الحجاز والقبروان بسنه دون العامين وفتح عينيه او ما فتحهما على راية محمد وهي تخفق فوق راسه ، كتب له ان يتسم نرى المجد وأن يكون موضع اعجاب واعجاز من المسلمين في الشرق والغرب بما احرزته من علم وفقه وبما اوتيته من عظمة نفس وقوة شخصية فكانت افريقيا كلها تعترف له بذلك وتلقبه بقاضي القواد وقائد القضاة دون منازعة كيف لا وهو قد جمع فقه المدينة إلى فقه العراق وقضى في ذلك أكثر من تسع سنين ما بين المدينة وبغداد ومصر ، ورحم الله مالك فكانما ادرك وهو يودعه ما سيصير اليه امر تلميذه من كلمة مسموعة وامر نافذ مطاع في تلك الرقعة من بلاد العالم الاسلامي فقال له موصيا (اوصيك بتقوى الله والقرآن والمناصحة لهذه الامة) . فقال اصحاب اسد ممن كان معه من افريقية زائد علينا والله يا ابا عبد الله وتشاء ارادة الله فيصدق ما كتب في قضاء الله فمات مالك فينبغ اسد في مناصب القضاء والافتاء بالقبروان زمانا طويلا تظل به كلمة الحق عالية موفرة وراية العلم خفاقة منشورة .

ثم لا يتوفاه الله الا بعد ان يكتب على يديه وبمائه الزكية اعظم نصر للاسلام على أمة الصليب في جزيرة صقلية فلا يغمض عينيه الا على نفس المشهد الذي فتحهما عليه اول ما فتحهما للوجود .

على راية الاسلام وهي تزهر فوق رأسه خفاقة توغل في بلاد الشرك ، كان ذلك تحت اسوار سرقوسة في اقصى الشرق من بلاد صقلية عندما سقط بطلنا تحت تأثير الجراحات يحمل السيف بيمينه والراية بيسراه ونام هناك نومته الابدية ودفن في ذلك الموضع وقد اثار الجهاد بما فيه من تكاليف البذل والتضحية والفداء على التمتع بالمراكز العليا في القضاء والافتاء بما فيها من لذة السلطة والحكم والجاه .

نسبه وتلقبه .

هو أبو عبد الله اسد ابن الفرات ابن سنان مولى بني سليم من نيسبور ولد بحرّان سنة اثنين واربعين ومائة هجرية (759 م) فحمله ابوه كما المحنا وكان جنديا في جيش محمد ابن الاشعث الخزاعي الى القيروان وهو ابن سنتين .

(قال اسد ورات امي كان حشيشا قد نبت على ظهره ترعاه البهائم فعبرت رؤياها عند معبر فقيل لها سوف يكون عند هذا الغلام علم يحمل عليه).

لا يحدد اسد موضع القرية التي تعلم فيها ولا الاسباب التي حدث بابيه الى الرحيل، اليها من تونس ولا المدة التي قضاها في حفظ القرآن بوادي مجردة ولا سنة رجوعه منها إلى تونس تلك الغاز لا تكاد تعثر لها على حل الا تخميننا فقد نستطيع التكهن ان رحلة ابيه من تونس الى مجردة كانت نتيجة لمقتضيات ظروف البدو من تفتيش عن "اراعي والاعشاب لحيواناته وقد يكون غير ذلك .

وايضا قد يعثر على تحديد تقريبي للمدة التي قضاها في حفظ القرآن بمجردة تحصر ما بين العامين والاربع سنوات وهذا يؤخذ من كلامه اذا اعتبرنا المدة التي قضاها في القيروان خمس سنين بالاضافة إلى العامين اللذين تقدما عن دخوله القيروان ثم تسع سنوات التي قضاها في تونس وذلك يكون مجموع السنين التي قضاها بعيدا عن مجردة 16 سنة فاذا طرحنا هذا العدد من مجموع عمره يوم ان اتم القرآن بمجردة وهو ثمانية عشر سنة يكون حاصل الطرح عامين .

ثم ارتحل اسد من مجردة الى تونس للمرة الثانية فسمع من علي ابن زياد (الموطأ) وتعلم منه العلم . وفي حوالي سنة اثنين وسبعين ومائة هـ (788 م) قرأه على الخروج إلى المشرق وعمره يوم ذلك ثمان وعشرون سنة .

فقد المدينة ولقي مالك ابن انس وواظب عليه يأخذ العلم ويسمع الموطأ وكان اسد من الرجال الذين تصدق فيهم قوله ابن عباس عن نفسه (ان الله خلق لي لسانا سوؤلا وقلبا عقولا) ....

لا يقف عند حد في الاسئلة فالح بالسؤال على مالك وكان هذا يكره السؤال عن احكام الحوادث قبل وقوعها فقال له (حسبك يا مغربي) ويحكى انه لما فرغ من سماع الموطأ قال لمالك (زدني يا ابا عبد الله سماعا منك) فكانه استقل الموطأ فقال مالك حسبك ما

للناس وذكر بعض المؤرخين عن اسد انه قال لقد كان اصحاب مالك امثال ابن القاسم وغيره يجعلونني اسأل مالك عن المسألة فإذا سألته يجيبني فيقولون لي فلو كان كذا وكذا فأقول له فضايق علي يوما فقال لي (سلسلة بنت سلسله اذا كان كذا وكذا كان كذا وكذا ان اردت هذا فعليك بالعراق) فقلت لاصحابي تريدون ان تاخذوا العقارب بيدي والله لا عود إلى مثل هذا .

والمؤرخون بهذا يريدون ان يجعلوا من هذه الروايات سببا مباشرا لرحلة اسد من المدينة الى العراق غير ان الارجح هو ان اسدا يخشى من طول مقامه بالمدينة ان يفوته ما رغب فيه من لقاء الرجال والرواية عنهم خاصة وهو قد احرز على ما امله وهو سماع الموطأ .

وقبل مغادرة مدينة الرسول دخل على مالك لتوديعه مع صاحب له من افريقية منهم حارث ابن اسد القفصي وغالب ابن مهدي فقال له مالك (أوصيك بتقوى الله والقرآن والمناسحة لهذه الأمة) فقال له صاحباؤه (زادك والله علينا يا ابا عبد الله) . ثم قصد العراق وهناك لقي اصحاب ابي حنيفة كابي يوسف والنعمان ابن ثابت الكوفي ومحمد ابن حسن الشيباني فكتب عنهم الحديث . ولزم محمد ابن الحسن فتخرج عليه وكعادة اسد لا يكفيه ما يكفي الناس من العلم فقال يوما لابن الحسن (اني غريب وقليل النفقة والسماع عندك نزر والطلب كثير فما جيلتي) . فسر ابن الحسن باستزادة تلميذه من العلم وقال له (اسمع) مع العراقيين بالنهار وقد جعلت لك الليل وحذك فتاتي فقيبت عندي فاسمعك) قال اسد (فكنت أبقيت في سقيفة بيت يسكن محمد ابن الحسن في علوه فكان يزل الي ويضع بين يديه فنحا فيه ماء ثم ياخذ في القراءة فإذا طال الليل وراني نعتت ملا يده ونضح بها على وجهي فكان ذلك دأبي ودأبه حتى اتيت على ما اريد من السماع عليه هذا وقد كان بين اسد ومحمد ابن الحسن مودة متبادلة جنى منها اسد فوائد مادية واخرى معنوية .

قال اسد (كنت يوما جالسا في حلقة محمد ابن الحسن فصاح صائح الماء للسبيل فقامت مبادرا فشربت من الماء ثم رجعت إلى الحلقة فقال ابن الحسن يا مغربي اشربت ماء السبيل فقلت له اصلحك الله وانا ابن سبيل ثم انصرفت فلما كان الليل اذا بانسان يدق الباب فخرجت اليه فاذا هو خادم محمد ابن حسن فقال مولاي يقرأ عليك السلام ويقول لك ما علمت انك ابن سبيل الا في يومي فخذ هذه النفقة فاستعن بها على حاجتك ثم دفع إلى صرة ثقيلة فقلت في نفسي هذه كلها دراهم ففرحت بها فلما دخلت منزلي فتحتها اذا فيها ثمانون دينارا) .

وبينما هو في حلقة محمد ابن الحسن اذ وافاهم نعي مالك ابن انس . فقال ابن الحسن ات اليوم والله امير المؤمنين في الحديث ...

وكان اسد اوجعه موت مالك وفي نفسه ما فيها من رغبة في الاستزادة من علمه فاراد ان يعوض ذلك بالرحلة الى مصر ليستزيد من العلم على يد كبار تلاميذ مالك امثال ابن

القاسم واشهب ابن العزيز وغيرهما وهناك لزم عبد الرحمان ابن القاسم واخذ عنه (الاسدية) التي جمع فيها اجوبة ابن القاسم عما سألته فيه من فصول الفقه ثم رتبها ويوبها بعد ذلك واتى بها المغرب فسميت المدونة الاسدية ، ويحكي سليمان ابن سالم عن قصة اسد مع ابن القاسم - قال نزل اسد مصر واتى عبد الرحمان ابن القاسم وهو يختم في اليوم والليلة ثلاث ختمات وقد اضنى نفسه من العبادة فسأله فترك له ختمه فكلما سألته عن مسألة اجابه ثم ادخل عليه فاجابه حتى انقطع اسد في السؤال فقال له ابن القاسم (يا مغربي زد وقل لي من اين قلت حتى ابين لك قول مالك) .

عند ذلك قام اسد على قدميه في المسجد فقال معاشر الناس ان كان مالك ابن انس قد مات فهذا مالك ابن انس فكان دابه حتى دون متين كتابا سماها الاسدية ثم عزم اسد على الخروج الى بلاده فطلبه اهل مصر في استمساخ كتاب قلبي فشكوه الى القاضي ولم يجبره على ذلك وتفضل اسد فسمح بذلك وعند توبيعه لابن القاسم اوصاه استاذة قاتلا اوصيك بتقوى الله ونشر هذا العلم) .

ووجه معه ابن القاسم بضاعة وقال له (انذا قدمت افريقية فبعها واشتر بثمنها رقوقا وانسخ الكتب ووجه بها الي) .

ورجع اسد الى القيروان كما يرجع القائد المظفر من ارض المعمعان محملا بغنيمة الجهاد وكان ذلك سنة احدى وثمانين ومائة هـ (797 م) فعمرت به وكتبته حلقات الدرس في جوامع القيروان وافريقية وذاع صيته وتقررت امامته .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

## اسد المجتهد

أثر عن اسد قوله لاحد اصحابه حينما انكر عليه القول بالرأي (اما علمت يا هذا ان قول اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم هو رأي لهم وهو اثر لمن بعدهم وكذلك التابعين هو رأي لهم وهو اثر لمن بعدهم) هذا القول يترجم لنا عن مدى تفتح عقلية اسد واجتهاده ولا غرو في ذلك وهو من هو من استبحاره في علوم ويحثه عنها وكثرة من لقي من محدثين والفهاء ناهيك انه اخذ عن مالك امام دار الهجرة وعن اصحاب بني حنيفة .

هذا وللرجل ما له من الفطنة واتساع المدارك فما الذي يقعه او يعوقه على ان يحلق في الاجواء التي خلقوا فيها او ان يكون لنفسه رأيا معتمدا على نفس المصادر التي اعتمدها غيره من الائمة وهي القرآن والسنة والاجماع .

لذلك نراه لا يلتزم مذهبا بعينه ولا يقر من اقوال الائمة الا ما وافق الحق عنده فهو لا يمشي اقوال اهل المدينة ولا يساير اقوال اهل العراق الا بعد تخير عقليا وان كان بطبعه الى مذهب العراقيين اميل .

وكان في دروسه يذكر المسألة ويذكر فيها قول الامامين اعني ابي حنيفة ومالك وبهذا

يكون هو أو من عرف بفقهِ أبي حنيفة في إفريقية وأول من عمل على نشره ويقال أنه أول من بنى مسجداً حنفيًا في القيروان وهذا المسجد موجود إلى الآن ويعرف بجامع الفال .

وكان لتلاميذه قول مشهور يشكرون به كل من أورد رأي أبي حنيفة وسكت عن رأي مالك يقولون له (يا قد القنديل الثاني يا أبا عبد الله) .

ويحكى صاحب رياض النفوس (لما قدم أسد من المشرق إلى القيروان وسمع منه المعروفين بصحبته ووجوه أهلها كسحنون وأمثاله سمع عليه كل معروف بصحبته مثل معتمر ومحمد ابن وهب ومحمد ابن قادم وأبي المنهال وسلمان ابن عمران وسائر من يقول بقول الكوفيين ورحل الناس إليه من البلدان وسمعوا عليه وتفقهوا به ، فنكر عبد الخالق المتعبد أنه أتى إليه فقال له (يا أبا عبد الله جئتنا بالرأي وتركت الآثار وما كان عليه السلف) فقال له أما علمت أن قول أصحاب الرسول من هذا نفهم حقيقة ما قيل عن أسد من أنه مجتهد يعميل إلى الأخذ بمذهب الحنفية ولذلك يلتقب بامام العراقيين في القيروان .

#### اسد القاضي وشيخ الافتاء

على عهد زيادة الله ابن ابراهيم ابن الاغلب وفي سنة 203 هـ (818 م) اسند قضاء إفريقية إلى اسد ابن الفرات وكان عليها (أبو محرز) فمكث بقضيان معا إلى سنة 212 هـ أي سنة خروجه على رأس جيش لغزو صقلية وهناك مصادر أخرى تشير إلى أنه ولي القضاء لابراهيم ابن الاغلب وقد أضيفت إليه القضاة في عهد زيادة الله ابنه فقط .

غير أن صاحب رياض النفوس يذكر في صفحة 185 ما نصه (ذكر بعض المؤرخين في سبب ولاية اسد القضاء أن عليا ابن حمد لم يزل يتلطف بزيادة الله في عزل أبي محرز وولاية اسد وعظم عنده شأنه واشتهاره بالفقه والعلم فأجابه إلى ذلك وأقرا أبا محرز على القضاء وولى معه اسد فكانا بقضيان جميعا ولم يعلم أن كان قبلها قاضيان بمصر واحد ووقت واحد .

وسواء أثبت أن أسدا تولى القضاء لابراهيم ولابنه من بعده أو هو عين في زمن زيادة الله فقط فإن ذلك ليس مهما جدا خصوصا والحال أنه لم يصلنا من أخبار اقصيته في عهد ابراهيم الاغلب لا قليل ولا كثير وهو حتى في زمن توليه القضاء لزيادة الله يظهر وأن جانب الافتاء غلب على جانب القضاء عنده وهاكم مثالا من اقصيته : أورد المالكي في صفحة 183 قضية تقدم بها رجل إلى اسد قال الرجل لاسد (اني امرت ابني بشيء وقلت له أن لم تفعله فامك طالق ان قدرت لك على مال لاردته عليك) فقال له اسد طلق أمه واحدة بائة وأتركها حتى تنقضي عندها ...

وهنا نلاحظون صعوبة التفريق بين جانب القضاء وجانب الافتاء في هاته القضية ، ويجدر بنا أيضا أن نشير إلى حادثة الهدنة المعقودة بين المسلمين وبين نصارى صقلية وإلى رأي اسد فيها وقولته التي خالف بها جمهور الفقهاء كسحنون وأبي محرز لقد عرضت عليه القضية فقال قولته المشهورة (بالرسل هادناهم وبالرسل نجعلهم ناقضين



قال تعالى - فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وانتم الاعلون فكذلك لا تنعاسك به ونحن الاعلون

### جانب من عظمة نفسه وثباته على المبدأ

عندما كان اسد بالعراق يتلقى العلم عن محمد ابن الحسن وكان هذا يجله ويحذب عليه ويعلم ما هو عليه من ضيق وفقر ففكر في وسيلة يوصل بها اليه النفع دون ان يجرحه فابلق امر ضيقه الى احد امراء العراق ورغبه في ان يهبه ما يستعين به على طلب العلم ، وفي اليوم التالي دعي اسد من طرف ذلك الامير فدخل على الحاجب فاجلسه ثم دخل على ولي العهد يستأذنه في شأنه فخرج الحاجب و خادم معه فامرء بالدخول حتى اذا انتهى إلى موضع امرء بالجلوس فيه حتى يرجع اليه ومضى الخادم فاقام شيئاً ثم رجع معه مائدة مغطاة فوضعها بين يدي اسد وقال له « كل » قال اسد ففكرت في نفسي و قلت اهذه مكرمة أو منقصة ما اراها الا منقصة وقلت للخادم هذا الذي جئت به امك ام من مولاك فقال مولاي امرني بذلك فقلت ان مولاك لا يرضى ان يكون ضيفه ياكل دونه يا غلام هذا بر منك وجبت مكافأتك عليه قال وكانت معي في جيبني اربعون درهما لم يبق معي من نفقة سواها فدفعتها للخادم وقلت ارفع مائدتك فرقعها ثم دخل على مولاه فاعلمه فقال الامير « حرًا هو والله الذي لا إله الا هو » ثم ان الامير انن له بالدخول واكرم وفادته واعجب بشهامته فامر له بصلة يتحمل بها الى بلده وقيل ان يودعه اوصاه بان يرجع اليه كل ما دعت الحاجة . وهكذا نرى ان اسد ابي ابي ان ينزل نفسه في موضع العنلة والاستكانة ولم يرض الا ان يظهر في مظهر الشهم المنكرم .

وحادثة اخرى وقعت له وهو في منصب القضاء بالقيروان تفصح عن مدى استمساكه بالمبدأ وعدم خشيته في الاصداغ بالحق ، فقد حدث في سنة 204 هـ ان ثار على زيادة الله منصور الطنبيذ وجماعة من الجند وحاصروه في القصر القديم نحو من اثني عشر سنة على ما يذكر المالكي وملك منصور القيروان وافريقية فقيل انه بعث لاسد يطلبه في الخروج معه والا يبعث اليه من يجبره من رجليه ان ابي ذلك فقال اسد لرسوله منصور قال له (لان فعلت لناديت في الناس القاتل والمقتول في النار) ثم ان اسدا قرر ان يخرج اليه ومعه ابو محرز ليسالانه الصلح في حق الامير فدخل عليه وعنده أمراء الاجناد فقال لهما المنصور (اخرجا معنا اما تعلمان ان هذا اليايس قد ظلم المسلمين) فاما ابو محرز فانه خاف من منصور فقال (نعم وظلم اليهود والنصارى) واما اسد فقال (قد كنتم اخوانا له قيل هذا الوقت وانتم وهو على مثل هذا الحال وكما سمعنا الوقوف عنه وعنكم فكذلك يسمعنا الوقوف عنه وحده) قيل فصال عليه بعض الجند فانصرفا وهما خائفان ثم انهزم منصور سنة 211 هـ ورجع ملك افريقية والقيروان لزيادة الله .

### اسد القائد البطل في صقلية

في الاسلام دين المساواة والجهاد لا يوجد قاص أو أمير يمنعه منصبه أو جاهه من ان يؤدي ضريبة الدم . قاضي قضاة افريقية وشيخ فتياها يمل النظر في ملفات الاحوال الشخصية ويكره حياة الدعة والسكون فينبذها ويختار ان يكون جنديا من عامة

الجنود المجاهدين يؤدي واجبه في الجهاد الاصغر محاربا بعد ان اداء في الجهاد الاكبر متعلما وعالما وقاضيا ومفتيا .

اسد ابن القرات ذلك الصبي الذي هام بالاستبسال والاستشهاد وارتضعها مع لبنان امه يوم ان يرافق المجاهدين وعمره دون العامين لم يزل حتى الآن يتنشق تلك الخمرة العلوية ويصبو لتحقيق ذلك العلم السماوي .

في المسلمين خير كثير ووفاء جم فذلك الوليد الذي حنت عليه راية الاسلام واطلته بظلالها يوم ان كان لا يستطيع دفع اذابى عليه ضميره وايمانه الا ان يهبها ما تبقى من حياته وان يضحي من اجلها ولا يموت الا وهو محتضنا لها . في سنة 212 هـ زيادة الله ابن ابراهيم الاغلب في القيروان يتصدر مجلسه الحربي واسد بشيبه ووقاره يقوم ويقعد يكاد يرقص من فرحة الاستشهاد والقوم في لغط كأنما هم مقبلون على امر ذي بال هذا سحنون يسأل كم بين صقلية وبين القيروان ثم كم بينها وبين الروم وعنما يخبر يقول (والله لو كنت طائرا ما طرت عليها) وهذا ابو محرز يؤثر التريث وقد استصعب امر الهندة المعقد غير ان اسدا وحده يتصدى للجميع فيقتعهم بقوله (بالرسل هادناهم وبالرسل نجعلهم ناقضين) اليس لنا عليهم حق تعذيبهم لاسرى المسلمين ثم يتوجه بالسؤال الى نفر في زاوية المجلس عليهم بزة النصاري يسألهم عن صحة خبر وجود اسرى من المسلمين عندهم وعن حال معاملتهم لهم فيقولون له بسوء المعاملة عند ذلك سكنت الجميع واذعنوا لرأي اسد في الخروج لمقاتلة الروم . وتذكر بعض المصادر ان الجيش الصقلي كان يغير دائما على سواحل افريقية ، وحدث في تلك السنة ان قدم على زيادة الله هذا قائد من قواد الروم في صقلية تسميه المصادر العربية (فيمي) وتسميه غيرها (افيموس) وكانت بين هذا القائد والوالي صقلية عداوة سببها ان الوالي قد اختطف منه مخطوبته اولان (فيمي) قد اختطف راهية من ديرها فعاقبه الوالي بالعزل ، هذا ما تذكره المصادر الايطالية . غير ان مؤرخي العرب ينكرون ان فيمي غزا سواحل افريقية سنة 211 هـ . وذلك بامر من (قسطنطين) ملك صقلية فذهب وسبى وفي طريق عودته او غر عليه صدر الملك فكتب اليه بالعزل ودارت بينه وبين الملك معارك كان النصر فيها حليفه في الاول ثم دارت عليه الدوائر فجاء يستنشد بوالي القيروان ويحثه على ان يخلص البلاد من فساد الروم ، وصادف ذلك رغبة عند الوالي فقد ظلت صقلية صدر قلق بالنسبة له ولبلاده وامر زيادة الله الجيش ان يستعد للخروج ولما رأى عزم اسد على الخروج في صفوف المجاهدين امره على الغزو وعزم عليه بذلك فقال اسد (امن بعد النظر في حلال الله وحرامه تعزلني وتولياني الامارة) فقال زيادة الله انا ما عزلتك على القضاء بل ولينك الامارة وابقيت لك اسم القضاء فانت قاض امير ، ويحكى ان اهالي افريقية وفقهائها وعلماؤها كرهوا غزو صقلية للعهد الذي بينهم وبين اهاليها فلما امر زيادة الله اسد على الغزوة تنازعوا الى التطوع والخروج كان خروج اسد من سوسة 14 جوان 212 هـ (827 م) بجيش يعد عشرة الاف رجل منهم الف فارس حملتهم مائة سفينة .

ويامر من زيادة الله لم يبق من الوجهاء والعلماء ورجال البلاط احد الا خرج لتوديع

أسداً (لا إله إلا الله وحده لا شريك له يا معشر الناس ما بلغت ما ترون إلا بالاقلام فانصبوا انفسكم فيها وثابروا على تدوين العلم تنالوا به الدنيا والآخرة) وقصد اسد (صقلية) وفي طريقه فتح جزيرة (قوصرة) صلحا فيما بينوا ووضع فيها حامية مناسبة لحماية خط انسحاب المسلمين عند الحاجة وفي 17 جوان انزل اسد قواته في ميناء مازر على ساحل صقلية الغربي واحتل المدينة ومن هناك نفذ إلى شرقي الجزيرة لمناجزة الروم بقيادة (بلاطه) صاحب صقلية وكان جيش الروم وعدده مائة وخمسون الف واجتمع إلى اسد « فيمي » واصحابه يريدون القتال معه فأبى ذلك قائلا (اعتزلونا لا حاجة لنا بأن تعينونا وإنما اجعلوا على رؤوسكم سيماء تعرفون بها) ودار القتل في ميدان (بلزم) وكان اسد يحمل اللواء بيد والسيف بيده الأخرى وهو يدعو الله فحمل على الروم وحمل معه المسلمون فانهمزم (بلاطه) وجيشه وجرح واستولى المسلمون على عدة حصون وفرت فلول الروم إلى اسوار (سرقوسة) في أقصى الشرق من الجزيرة فاقتفى اسد اثرها قاطعا مسافة 200 كلم من مازر إلى سرقوسة مكتسحا كل ما يعترض سبيله من المدن والحصون وبقي عليه مدن وحصون في الشمال يجب فتحها فكان لذلك خط القتال ممتدا من بيرم في الشمال الغربي إلى سرقوسة في أقصى الشرق وحاصر اسد سرقوسة برا وحاصرتها سفن المسلمين بحرا وفي ذلك الحين وصل إلى مدينة سرقوسة اسطول بزنطي فارفعت معنويات الروم واشتدت مقاومتهم المسلمين ونشب بينهم قتال عنيف في البر والبحر وشعر اسد بالحرج فقد أصبح يجابه جيش الامبراطورية الرومانية لا جيش صقلية فقط وزاد الجالة سوءا انتشار الوباء في معسكر المسلمين فاهلك منهم خلقا كثيرا ولقد كان اسد مؤمنا غاية الايمان بقدسية الجهاد في سبيل اعلاء كلمة الله فكان مجاهدا من الطراز الاول وكان يتحرق ان ينال ثواب المجاهدين الصابرين فعمل جاهدا على تحقيق هذه الامنية ، لذلك نراه رغم تخرج موقفه بسبب من كثرة جيوش العدو وانتشار الوباء وهذه المجاعة التي تهدد المسلمين، رغم كل هذا يرفض عرض التراجع على القتال إلى ان مات وهو محاصر لسرقوسة متأثرا بجراحات شديدة وكانت وفاته في جمادى الآخرة ثلاثة عشرة ومائتين هجرية (828 م) ودفن بذلك الموضع .

وقبل موته اسند الراية إلى محمد ابن ابي الجوادى احد رجاله فاعاد تنظيم الجيش وقسمه سرايا متفرقة تغزو القلاع والحصون حتى جاءت الامدادات من افريقية فتم تركيز الفتح على يديه . وفي سنة 264 هـ (887 م) فتح المسلمون سرقوسة آخر معاقل الروم في الجزيرة واسسوا امارة كانت في بداية الامر تابعة للقيروان ثم استقلت عنها لما سقطت دولة بني الاغلب فقامت في صقلية دولة اسلامية دامت زهاء قرنين من الزمن حتى استعادها الدوق (روجير) 464 هـ (1072 م) فطويت بذلك صفحة من صفحات حضارة الاسلام في الجزيرة ظل اسم اسد يتصدر سطورها ويعنون لتاريخها باحرف بارزة فهو رائدها وفتاحها الاوحد .

فرحم الله من اعظم حياته وراحته فداء عز الاسلام ونصرة رايته ورضي الله عن قاض القواد وقائد القضاة الفاتح الباسل الشهيد اسد ابن الفرات ●

المنجي القردلي  
أستاذ علم الاجتماع  
بالمدرسة القومية للخدمة الاجتماعية  
بسيانية

## ماهية المجتمع الصالح

في كتابه « بناء المجتمع » اقترح - ماريون ليفي Levy Marion - بعض المعايير التي ينبغي توفرها في الجماعة قبل أن يصح لنا اعتبارها مجتمعا . فإنه يرى من الواجب أن تكون الجماعة قادرة على البقاء لمدة أطول من دورة حياة الفرد كما يتعين عليها أن تضم إليها أعضاء جدد عن طريق التكاثر الجنسي ويجب أن تنفق على الولاء لمجموعة مركبة مشتركة يطلق عليها اسم « نسق الفعل الاجتماعي » ، المتمثل في المجموع الكلي للعادات الاجتماعية والقيم والاساليب القياسية للسلوك المشترك بين أفراد الجماعة الذين تربط بينهم علاقات اجتماعية متبادلة .

ونعرف عادة المجتمع المحلي أساسا في ضوء كثرة التفاعل أو الاحساس بالعضوية المشتركة والاشتراك في هوية واحدة ، وعضوية جماعة معينة تضيضي قدرنا من الاحترام على بعض الأشياء المادية أو الروحية ، إلى جانب بعض الحقوق والواجبات إزاء أعضاء المجتمعات المحلية الأخرى .

فلقد كانت المجتمعات التقليدية التي سبقت ظهور الثورة الصناعية في أوروبا تقوم على مجموعة من التنظيمات تتحكم في جوانب نشاطها ، وكانت الأسرة والدين والقرية « نالوثا » ينظم سلوك الافراد ويقيم عليها الضبط الاجتماعي ويرسم هدف المجتمع ، بحيث أن كل افراد المجتمع منضهون تماما في الكيان الاجتماعي ككل وان المعبر الوحيد عن كل الرغبات والحاجيات هي « نحن » . وكانت النظم الاقتصادية التي تقوم خارج المنزل أو القرية قليلة وغير متطورة ، ولم يكن أثر الحكومة المركزية على حياة المواطنين اليومية كبيرا في نطاق الحقوق أو الواجبات المتبادلة . وكان هذا إلى حد كبير هو حال المجتمعات التي ظلت بعيدة عن نمط الحضارة

الصناعية وهي المجتمعات المهينة فاهتز كيان المجتمع القروي الذي لم يعد الآن ذا دور ايجابي في النظام الاقتصادي ، وسلبته المدنية كل مصادر قوته التاريخية .

ذلك هو المجتمع الكبير الذي يكوّن الأمة والمعروف بمجتمعاته الثانوية أو الصناعية . فقلّ فيه أثر الدين على النظام الاجتماعي ، وارتد دوره الثقافي والاجتماعي الى الوراء ، وورثت المؤسسات المدنية والتشريعات الوضعية أهم مقومات وجوده الاجتماعي . وهذا لا يعني أن الدور الروحي للدين لم يعد قائماً ، ولكن يعني أن التخصص وتقسيم العمل الذي تقوم عليه الحياة المدنية المعاصرة قد تسلسل إلى بعض المناطق الرئيسية التي كان يعمل فيها النشاط الديني .

وإن المجتمع الكبير يمتاز بخصائص ثقافية وحضارية مصلحية . فلقد تلاشت فيه « النحن » بظهور « الأنا » وتغلغل المنفعة بظهور الجمعيات والطوائف الدينية والأحزاب أو الكتل السياسية مثلاً ، والجماعات التي تكون المهن والحرف المتنوعة والأقليات العنصرية الى غير ذلك . وكلما ارتقت المجتمعات في سلم المدنية كلما تعدّد تركيبها الاجتماعي وصاحب نموها السريع مشكلات عديدة كالاسكان ، والعمل على رفع مستويات المعيشة وتنسيق المجتمع وتنظيم أجهزته ، والعناية بالصحة العامة وشؤون التعليم ومشكلات المواصلات المحلية والقضاء على البطالة ومقاومة التيارات الاجرامية .

واكتسحت التيارات الانتهازية والوصولية المدن الكبرى وأصبحت الحياة المدنية مرتكزة على الانانية . وانتشر الانحراف في محيط الأحداث والكبار والمؤامرات والدسائس واختطاف الطائرات في محيط النقابات والهيئات والأحزاب . كما اشتد الصراع بين طبقة اصحاب رؤوس الأموال والعمال تسبب ذلك في خلق حوادث الاضطراب والتخريب واصبحت الحياة الاجتماعية وكأنها كفاح بل سباق مستمر من أجل البقاء وصراع دائم لتحقيق مطالبه .

اماً على مستوى العلاقات البشرية فإنها تزداد تعقدا يوما بعد يوم بين الافراد الذين تربطهم مصالح مشتركة أحيانا ومفارقة أحيانا أخرى نظرا لشدة التنافس بين الهيئات والمؤسسات فانجر عن هذه الحالات صراع عنيف

ومن ناحية العلاقات الزوجية وتربية الاطفال فهي أصبحت مهددة بعدم التوافق بين الزوجين وخطرا على مقومات البيئة العائلية المولدة لجنوح الابناء (ذكورا أو إناثا) والذين دوما هم وحدهم الضحايا الأبرياء للعائلة المفككة .

فلقد أصبحت أحوال المجتمع تتأثر إلى حد كبير بأحوال العوائل التي يتألف منها ، فاستقراره وتوطيد أركانه يعتمد على قيام العوائل بوظائفها واستقامة الوالدين ، والتزامهما بأصول التربية السليمة ، واعتدال حجم العائلة ، والدخل المناسب علي نهج سليم ، واتباع أفضل الطرق للوصول إلى أهدافها . فإذا اضطربت أحوال العوائل ، اضطربت احوال المجتمع ، واختل توازنه وساء نظامه بما يسوده من مظاهر السلوك المنحرف . والمهم في المجتمع ليست بساطته وعدم تنوع عناصره بل كيفية مواجهة التحدي الذي تفرضه مشكلات تطوير وتدعيم وتنظيم حياة الناس المتكررة عن طريق بعض المؤثرات الخارجية التشريعية أو السياسية التي تجعل الفرد ينظر إلى نفسه كجزء من مجتمع معين .

فإذا أردنا أن تكون المدرسة هي تلك المؤسسة الاجتماعية التي أنشأها المجتمع ، عاملا فعلا من عوامل تدعيم المجتمع الصالح ، فعلى المدرسة تقع مسؤولية بناء منهج ، بحيث يساعد المنتسبين إليها فهم مبادئ المجتمع الصالح فهما صحيحا وادراك مزاياها ، حتى تصبح جزءا من مقومات حياتهم ، وحتى يصيروا قادرين على ممارسة هذا الأسلوب في الحياة ممارسة صحيحة ، وعلى الاسهام في تطويره وتحسينه ، فالتربية الصالحة حجر الزاوية في بناء المجتمع الصالح . والمجتمع الصالح هو ذلك المجتمع الذي يضمن حيوية ونشاط كل كتلة من كتله والتعاون والتفاعل الايجابيين بين الكتل في نفس الوقت ، ففوة المجتمع وسلامته ليست بالبساطة بل بالانسجام والانتضباط بين مختلف كتله .

أما المجتمع الذي يحوي كتلا متصارعة ، متضاربة ، متناحرة أو الذي تطغى فيه كتل على أخرى فهو بدون شك مجتمع شلت أعضائه واختلت دعائمه وفقد الجسم الاجتماعي توازنه وأصبح فريسة سهلة للانقضاض والابتلاع .

## عماره طاع الله

بقلم : عبد القادر الهاني

هو الشاعر الاديب عماره بن حسن بن الحاج طاع الله بن بلعلي العوني الخلصي المحمودي ، ولد بعين الديسة من معتمدية سليانة ، وفيها شب وترعرع في حجر والده حسن الاديب المعروف ؛ إذ اشتهر في عروش أولاد عون وأولاد عيار وجلاص بقول الشعر والتغني به في الأفراح . في بداية شبابه انتقل الى « القنطرة » قرب سليانة حيث انتسب إلى زاوية سيدي عبد الملك منصرفا لحفظ القرآن ، وبعد أن نال من ذلك قدرا كبيرا رحل الى « دخلة المعاوين » بالوطن القبلي حيث اكمل حفظ القرآن الكريم ، ولما عاد إلى مسقط رأسه أخذ للعمل بالجندية إلى أن تم تسريحه سنة 1924 فانخرط بالتعليم - من جديد - لكن بجامعة الزيتونة هذه المرة .

تزوج مرة أولى ، ثم ثانية من غير عرشه ، حيث انجبت له بنتين اثنتين هنية وربح وولدين اثنين الحفناوي ومصطفى ، اشتهل شاعرنا عماره بالفلاحة بمسقط رأسه « عين الديسة » إلى أن توفي بها سنة 1948 عن سن تناهز الخمس وأربعين عاما .

رغم أن الشاعر عماره طاع الله لم يعيش طويلا ، فإنه يعدّ من الادباء المكثرين من قول الشعر ، ويتجلى ذلك فيما يرويه عنه أصدقاؤه وجلسه ، وخاصة « أحمد طاع الله » ابن أخيه ، وكان ملازما له في كل تنقلاته بين « العروش » في القرى والمدائر ، يحيي سهرات الأفراح ويضفي عليها من البهجة والحبور ما جعل أهل البيوتات يتهافتون على طلبه ويلحون في دعوته .

عالج الاديب عمارة طاع الله جميع الاغراض التي كانت معروفة عند زملائه الشعراء الشعبيين : غزل ، فخر ، هجاء ، وصف الطبيعة وجمالها والفيافي وأهوالها ، إلا أنه تميز فيما يبدو بالاكثار في شعره من التعرض للاحداث الاجتماعية الهامة والحوادث العارضة ، ولعل أهم الدوافع لذلك : التزامه في إحياء سهرات الأفراح بالجديد من المنظوم ، خاصة اذا كانت

السهرة من الصنف الذي يحتد فيه الجدل بين المغنين الشعراء أو الشعراء المغنين، ويبدو أن صاحبنا مولع بهذا الصنف من أشكال التباري الذي كانت - وقتئذ - سوقه رائجة جدا .

عينات من شعره :

## غناية الشرطية

اخطاني قلبي مليان يا ناشدي علاش تنشد في  
قلبي متغشش مليان من هم القومي والشرطية  
ع الصبحه جوني التطيخ قبل الفجر انادوا علي

○ ○ ○

ع الصبحه جوني فرسان قالوا لي تمشي خدام  
تقوى بيناتنا الكلام ثم زادو لمقـو في  
وامشيت امعاهم عريان مجرود كان في السورية

<http://ArchiOelOaOakhrit.com>

وامشيت امعاهم دبـيت خلط لسليانة واشكيت  
قبطان ويطنسى بوخيـط نادو باسمي ونومري  
فلنلهم صاحب انتـريت من صواقـيت الحزبية

○ ○ ○

القومي والقومي خوه اراعوا في الناس أجـوه  
اليعطيهم الرشوة اعـذوه يرضو حتى بنصف أقية  
والفقري جملة يدوه فالس ما فيشو طمعيرة

○ ○ ○

القومية ارجال اكبار فزاعة في كل انهـار  
رب ما هـمـش امراعينـو يعرو امصوا في الرعية  
هم الشعلو فينا النار يجعل بيوتهم مزليـه



## الف ...

الف الله بيه السبب ، لمن طلب ، بلا الف ما تنتمسخنى الكتب

○ ○ ○

البا ، باري الیلا تكون باري ، وأقبل انذاري ، تبّع بلاد السهل والبراري لا  
تخطفك مَسارب اَزهیده

○ ○ ○

التا ، طالب على الله توبي ، نطلب على الله يغفر ذنوبي ، ويستر عيوبي ،  
من قبل النهايا

○ ○ ○

الجم ، جبت الصانع وجبت ، توأ جقيت ، كلامي جرح ، يوقظ الميت ،  
يزطل ويقلب الشايب اصغير

○ ○ ○

الحا ، يحي قلوب الحزانة ، ويزهو معانا ، كلامي ثابت يجي بالرزانة ، شغل  
الكهانة ، يخلف في وسط أجواحي مرير

○ ○ ○

الذل ، لذة ابنادم اسكاتو ، يربح اهناتو من تبع النفس راهي اَرماتو ، في نار  
تَزهَر اَزهير

○ ○ ○

الراء ، رست عليّ المواجه ، وما نيش هاجع استغفرت لله تايب وراجع ،  
خايف من وجه ناكر انكير

○ ○ ○

الزني ، زينة ، زينك زفيع ، من شاف زينك يهمل بضيع ، يسلّم يبيع ...

○ ○ ○

العين ، عديت في العمر عدة ، ناي وزين قدّه في لول توقع الشدّة ، والغالي  
يرجّه نذل

## خزرات عيونو

خزرات عيونو حازه كـ الفلفل  
 تكوي ترمي في القلوب جـمـر  
 جبينو ضاوي ونور خـتـو يهـلـل  
 وضحكت فـمـو تـلـوـخ في البـخـر  
 غثيثو محضي بالمسبيبه مشتل  
 طاح فـسـبـب تـمـام الصـنـدر  
 قـتـو مـسـلـس من طويل المـرول  
 وخزامو م الجوف حاز الشطر

○ ○ ○

ويثو هـاك الزول وين تخـمـل  
 مـدـه كـبـيـره غـاب غ النظر  
 جيت الليله في المحـبـا قـل نـسـهـل  
 شائلي تابع من بعيد البر  
 قـدـاش قـلـب الحـي بـعـدي ويحـمـل  
 وقـدـاش يـخـزن في الكـنـيـن يـصـر  
 دـل نـلـيـلـي فـيـدـنـيـي يا مـحـضـر  
 كـثـيـر غـرامـي زـاد بـي ضـرـر  
 من حب المـحـبـوب بـت ثـرـل  
 نـومـي حـاـيـر واقـف عـلـي ظـهـر  
 في محتـنـو ما صـبـتـش ما نـعـمـل  
 وفـي فـرقتـو ما طاقـنـيش صـبـر  
 يا مـحـفـل لـكـان مـنـي تـقـبـل  
 بـلـغ حـبـي لـلـجـفـي وانـكـر  
 عـاؤـدـلـو ما قـال لـسـنـي وسـلـل  
 حـتـى اـشـوـف لـا تـلـى واغـذـر

## خيال هنية

صانع ريت خيال هنية	جا خارج من الـدار
قصة واسوالف زنيية	والشفقة تحمار
تلفت شيع نظري لي	وخاف من الحزار
قلي يا خال لا تلوم علي	لا لوم ولا اغدادا
نعطيك حديث الرسمية	إلى ما فيهوش اعود
برا اتهن من يلي	وما عادش تخطار
ناس إلي زينوك علي	نطب معاك النار



طم منو عام تعبت فيه المومنين

فيه راحت طشان وكشف السنة والدين	تكشف الدين المحبوس
وطى الناس الكانث روس	والمزاح أولاد خموس
ولو أزجال ومممين	يا ناري على ضنوث عون
أماي الهمة وإفراسين	وزقو غرقو بالديون
وعادو ذلال ومطوتين	وعد الله وحكم الباري
غاضوني هصكات جوارى	يهزوا في الروز عبايين
دقيق الحلقه ول شوق	ومن تونس
جاي كوامين	دقيق الحلقه والنجاره
كالبح يطعم بامزاره	بالخوه هذي الدباره
يشيب روس المرضعين	